الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري ـــ قسنطينة

كلية الآداب واللغات — **رقم التسجيل:** ....

قسم اللغة العربية وآدابها — **رقم الإيداع:** ....

بنية النص في سورة الكهف

مقاربة نصية للاتساق والسياق

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات

إعداد الطالب:

شعيب محمودي

تحت إشراف الأستاذ:

الأستاذ د. يحي بعيطيش

لجنة المناقشة:

1- د/ يحي بعيطيش - أستاذ محاضر - جامعة قسنطينة - مشرفا ومقررا

2- ....

3- ....

4- ....

السنة الدراسية - 2009 - 2010

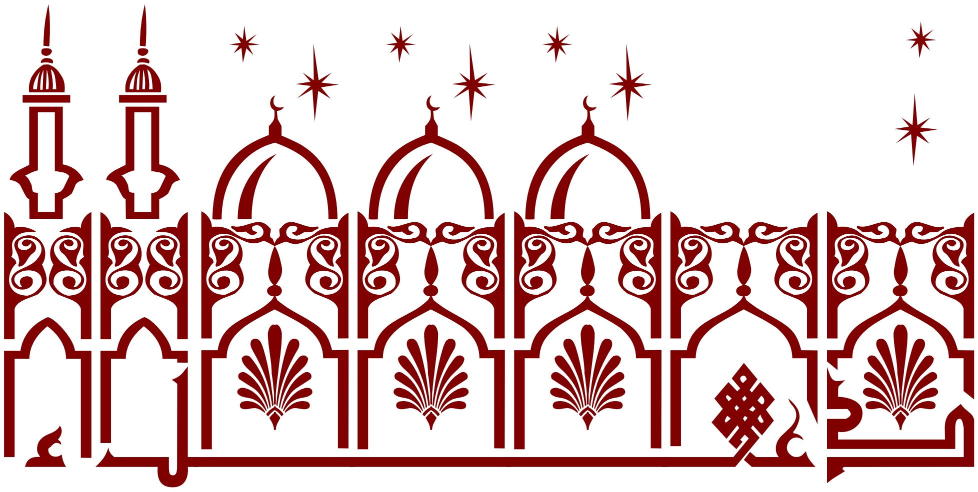

اللهم إني أسألك علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا متقبلا، اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما، اللهم لا سهل إلا ما سهلت، ولا يسير إلا ما يسرت، اللهم لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت، ولا باليأس إذا أخفقت، اللهم ذكرني دائما أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح، اللهم إذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ تواضعي، وإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي بنفسي، اللهم إذا أسأت فامنحني شجاعة الاعتذار، وامنحني شجاعة العفو إن أساء الناس إليَّ، آمين يا رب العالمين

إهداءات

إهداء

إلى **حشاشتي** التي أودعتها الثرى، **وقلبي** الذي انتزعته مني المنية، إلى تلك الآمال الحلوة التي تطلعت إليها وهي غاربة، كما يتطلع الناظر في أعقاب نجم مغرّب...

إلى **روح أبي** أهدي هذه الباكورة...

إلى **منى** عمري، إلى همسات أحلى من ناي سكنت قلبي، إلى من ودادها لا يشاطرني فيه أحد من البشر...

إليك يا **أمي**...

- إلى إخوتي وأخواتي دِفْء حياتي...
- إلى كل العائلة الكريمة...
- إلى إخوان الصفا... **عبد الرحمن**، **عبد الفتاح**، **نوفل**...

إلى كل من انتظر معي هذا الحلم وشاركني الفرحة به...

إليكم جميعا أهدي هذا العمل...

شعيب محمودي

شكر وعرفان

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أما بعد،

فأتقدم بجزيل الشكر وخالص العرفان والامتنان للأستاذ المشرف **د. يحي بعيطيش،** الذي لم يدخر جهدا ولا علما في سبيل ما أولاه لهذا البحث من عناية وتوجيه منذ أن كان فكرة، إلى أن أُخرج بين هاتين الدفتين، فله كل الشكر وعظيم التقدير.

- كما أجزل الشكر لكل أستاذ كان له عليَّ الفضل بأن علمني حرفًا، وكل من مد لي يد العون بالتوجيه والنصح والمراجع.

- كل الشكر أيضا لعمال المكتبة المركزية بجامعة منتوري، وعمال مكتبة جامعة الأمير عبد القادر، على جهودهم في سبيل تسهيل الإجراءات للاطلاع على المصادر والمراجع المتوفرة في المكتبة.

- وأخيرا خالص الشكر لـــ **"عبد الرحمن"**، الذي حرص على طباعة البحث، ولما قدمه لي من دعم ومساندة وتفان بلا حدود...

شكرا جزيلا لكم جميعا...

شعيب محمودي

مقدمة:

إن "نحو النص" بوصفه حقلا لسانيا حديثا يؤكد التقاء علوم لغوية عدة تشمل: النحو، والبلاغة، واللسانيات، وتحليل الخطاب... وتبادل التأثير فيما بينهما قصد ملء الفجوات الإعلامية على مستوى القراءة والإفادة المحققة في سياق معين ضمن بنية أكبر، هي دلالة النص العامة.

لذا كان اختياري لهذا الاتجاه الحديث في دراسة النص اللغوي يقينا بأن هذا النحو يجتذبه النص أكثر مما تجتذبه الكلمة أو الجملة، باعتباره بنية كلية تتجلى فيها كل الظواهر اللغوية. ومن هذا المنطلق يتجاوز النص كل المقاربات التقليدية وأساليب التحليل النحوي المعروفة التي سادت اللغة قرونا طويلة وما زالت. هذا النص المنجز الذي لا يتحقق تحليله إلا عن طريق مراعاة التفاعل والترابط بين جسد النص – باعتباره نسيجا تتعدد فيه الروابط النحوية وغير النحوية – بأجزائه من جهة، ومدلولاته المتنوعة المستمدة من السياق من ناحية أخرى. ومراعاة التفاعل الحاصل بين المبدع والمتلقي من خلال مراعاة عملية التبليغ أو التواصل.

ومما يحسن التنبيه إليه في بداية دراستنا أن "نحو النص" جاء تطويرا لبحوث لغوية مكثفة، تباعدت مفاهيم تعريفه تباعدا تراوح بين التغيير والتطوير، وبين تباين المنطلقات والتطلعات، إضافة إلى غياب الدقة الاصطلاحية المقاربة لمدلوله وعدم الاتفاق على مفهوم ثابت يلغي التداخل على مستوى الدليل. وكل هذا جاء نتيجة الاختلافات المنهجية عند ممثلي المدارس والاتجاهات النحوية النصية المختلفة.

واستمرت الدراسات اللسانية على تلك الاختلافات المنهجية إلى أن ظهرت الإرهاصات الأولى لنحو النص مع **(Harris)** في بداية النصف الثاني من القرن الماضي، وتطورت تلك الدراسات النصية في السبعينات على يد **(Van Dijk)** الذي يعد مؤسس علم النص أو نحو النص، حتى أصبح نحو النص حقيقة راسخة على يد الأمريكي **(Robert de Beaugrande)** في الثمانينات.

صحيح أن هذا الحقل اللساني المتشابك يحمل كثيرا من التعقيد وبالخصوص في تحديد المصطلحات وإبراز تداخل مصطلح النص والخطاب كحقيقتين لغويتين تتقاطعان على مستوى

النسيج، وتتباعدان على مستوى التقيد بالكتابة ومستوى المهارة الشفوية، رغم أن النص كما يبدو أكثر حساسية للمستوى الأول والخطاب للمستوى الثاني.

وتأسيسا على ما سبق جاءت فكرة موضوع هذه المذكرة الموسومة بـــ:

«بنية النص في سورة الكهف مقاربة نصية للاتساق والسياق»

محاولة جادة لطرح جملة تلك الإشكالات والمفاهيم بصفة عامة، ومحاولة بحث في سبل اتساق مدونة بحثنا – سورة الكهف – وانسجامها، والكشف عن النظام اللغوي الذي حقق لها النصـــية بصفة خاصة، ذلك أن نوعية نص المـــدونة تختلف عن نوعية المدونـــات الأخرى التي اختبرت بهذا المنهج، فهي – المدونة المدروسة – نص يشهد له بالتميز والأدبية لأنه نص قرآني – والقرآن في أعلى درجات البلاغة والبيان – كما رأيت في هذا النص مجالا خصبا للدراسة وفق لسانيات النص.

- وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، ومدخل عام، تلاهما فصل نظري، وفصلان تطبيقيان، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات، وملحق.

تناولت في المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب ودوافع اختياره، والمنهج الذي يمكن تطبيقه على الموضوع، والعوائق العلمية التي واجهتني. وتعرضت في المدخل لمسيرة الدرس اللساني الحديث مركزا على أربع مراحل أساسية كبرى: المرحلة الأولى تمثلت في (مرحلة الدالية) أو ما عرفت بمرحلة البنيوية، وهي جل البحوث التي ركزت على البنية أو الدال؛ والمرحلة الثانية التي تجسدت خاصة في المدلولية ممثلة في المدرسة التوليدية التحويلية؛ ثم المرحلة التداولية وهي الدراسات التي استهدفت النشاط اللغوي في ضوء نظرية التبليغ أو التواصل؛ وكانت مرحلة النصية آخر ما تناوله المدخل بحيث أبرزت فيها كيف انتقل اهتمام الدارسين من الجملة إلى النص.

- أما الفصل الأول فتناولت فيه المفاهيم الأولية لنحو النص واتجاهاته.

فتطرقت إلى مفهوم النص، على اعتبار أن النص هو الوحدة اللغوية التي يعالجها هذا الاتجاه اللساني (نحو النص)، ثم عرضت الفرق بين النص والخطاب، ثم أردفته بالحديث عن علاقة مصطلح السورة بالنص. وعرفت بنحو النص وبواكيره.

كما عرجت على المفاهيم الأساسية للاتساق المستثمرة في الدراسة كالإحالة، والتوابع والتكرار، والحذف. وأخيرا كان حديثي عن المفاهيم الأساسية للسياق في الدراسات النصية بصفة عامة والنص القرآني بصفة خاصة. من هذه المفاهيم: السياق، المناسبة في الدراسات القرآنية، مظاهر الانسجام.

- وأما الفصل الثاني – فهو تطبيقي إجرائي – خصصته للتحليل النصي للمدونة (سورة الكهف) من خلال اتساقها المتجسد في الضمائر (الشخصية، والإشارية، والموصولة)، والتوابع، والتكرار، والحذف. مع الاستعانة ببعض الجداول الإحصائية كلما لزم الأمر.

- وأما الفصل الثالث – وهو تطبيقي أيضا – خصصته للانسجام حيث قصرته على التحليل السياقي لسورة الكهف تناولت فيه سبب الترول، وبنية السورة من خلال بعض المفسرين (كـ: **الرازي، والطاهر بن عاشور، وسيد قطب**)، وحول بعض السياقات الواردة في السورة، والبنية الخطابية في السورة، وبنية السورة كجواب، والتناسب بين القصص الواردة في السورة.

- وأما الخاتمة فضمنتها التداخل بين مصطلحي الاتساق والانسجام مع أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

- وقد اخترنا لهذه الدراسة منهجا وصفيا استقرائيا بدا لنا أنه مناسب لهذا الموضوع لأنه يصف أهم الظواهر المدروسة ثم يحاول تفسيرها وتحليلها استنادا إلى الآليات المعتمدة في ذلك، مع الاستعانة بالمنهج الإحصائي كلما دعت الحاجة إلى ذلك. وهو منهج يعاين المادة النظرية معاينة تقوم على توضيح المعطى النظري من الطرح التطبيقي الذي يرجى منه تجلي تلك الظاهرة بصورة تؤكد الاستعاب والفهم. ونظرا لأهمية القضايا التي يطرحها نحو النص، حاولت الجمع بين وضوح إثارة القضية ووضوح التطبيق، فمن الأفضل أن تتعانق القضايا مع إجراءاتها ليحكم لها أو عليها، فربما كانت التطبيقات سببا في الحكم عليها بالقَبول.

- وقد اعترض سيرورة هذا البحث صعاب كثيرة أهمها نقص المصادر والمراجع التي تتناول هذا الموضوع سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية، والسبب عائد إلى إشكالية البحث في حد ذاته الذي يجمع بين عدة حقول لسانية متباينة التطلعات في حقل واحد يدعى نحو النص.

- وأما عن مصادر البحث ومراجعه فقد تنوعت بين القديمة والحديثة وكان من أهمها:

- البرهان في علوم القرآن للزركشي
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري
- روح المعاني للألوسي
- في ظلال القرآن لسيد قطب
- القصص القرآني في سورة الكهف لمحمد متولي الشعراوي
- علم لغة النص لسعيد حسن بحيري
- لسانيات النص لمحمد خطابي
- نحو النص لأحمد عفيفي
- علم اللغة النصي لصبحي إبراهيم الفقي
- تحليل الخطاب لبراون ويول
- بلاغة الخطاب وعلم النص لصلاح فضل

وغيرها مما هو مفصل في قائمة المصادر والمراجع.

وقد ذَيَّلْتُ البحث بملحق يضم أهم المصطلحات النصية المفتاحية التي وردت في البحث، وهو محاولة لا ترمي إلى حصر كل المصطلحات النصية الحديثة بقدر ما ترمي إلى تحديد معالم المصطلح اللغوي المستعمل في البحث.

وآمل أني قدمت الاجتهاد المناسب لأهم ملامح هذا العلم (نحو النص) التي أطمع أن تكون مفيدة في إثراء مرجعيات الباحثين. كما أرجو أن يكون هذا الطرح مقدمة لدراسات أخرى أكثر عمقا ونضجا، وأكثر قيمة مما قدمته تُكَمِّلُ ما تركتُهُ سَهْوًا أو تقصيرا في التعمق والإحاطة والله من وراء القصد.

شعيب محمودي

الثلاثاء 08 ديسمبر 2009

سيدي مبروك الأسفل - قسنطينة

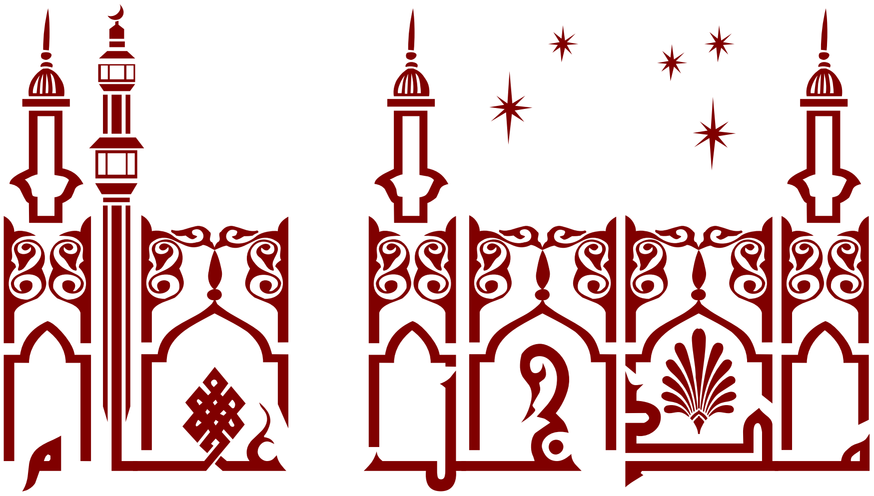

مدخل عام:

مسيرة اللسانيات الحديثة

تمهيد:

إن المتمعن في سيرورة الدرس اللساني الحديث تستوقفه أربع مراحل أساسية كبرى هي:

مرحلة (الدالية) أو ما عرفت أيضا بمرحلة البنيوية؛ وهي جل البحوث التي ركزت على البنية أو الدال، تلتها مرحلة (الدلالية) ففي ضوئها جاء الطرح اللساني الجديد محاولا تحديد القيمة اللغوية في بعدها الدلالي، تجسدت خاصة في المدرسة التوليدية التحويلية، ثم مرحلة (التداولية) وهي الدراسات التي استهدفت النشاط اللغوي المؤسس على مبدأ التحاور في ضوء نظرية الاتصال. وأخيرا مرحلة النصية التي انتقل فيها اهتمام الدارسين من الجملة إلى النص والحقيقة أن هذه المراحل تعد بمثابة ثورات كبرى نظرا لأن النظريات اللغوية الحديثة على كثرتها ثارت على المناهج القديمة التاريخية والمقارنة التي سادت القرن التاسع عشر، وهي:(1)

الثورة البنيوية بزعامة "**دو سوسير**" **(F. De Saussure)** الذي عد المؤسس الأول للدراسات اللسانية الحديثة. والثورة التوليدية التحويلية التي حمل لواءها "**نوام شومسكي**" **(Noam Chomsky)**، والثورة التبليغية بقيادة "**ديل هيمس**" **(Dill Hymes)**، والثورة النصية التي يمكن أن نعدها ثورة رابعة انطلقت مسيرتها الحقيقية منذ الثمانينات من هذا القرن بعدما تعالت الصيحات منادية بضرورة تحول الدراسات اللسانية من الجملة إلى النص. وبعد هذا الطرح الموجز لهذا المراحل أو الثورات، يمكن لنا توضيح طبيعة كل مرحلة بشيء من التفصيل:

---

(1) ينظر يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية في النحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، ص35.

1 – مرحلة الدالية (أو الداليات):

إن فكرة النظام أو النسق التي كان "**دو سوسير**" يحاول أن يوجه أنظار اللغويين إليها، قد أثرت في الحقيقة خلفية الدرس اللغوي، من خلال الالتزام بالطابع العلمي الذي لا يمكن أن يتحقق إلا بمعالجة ذلك النظام معالجة تنطلق من ذاته (صورته البنيوية الداخلية)، تظهر في تفكيك الوحدات اللغوية تفكيكا لا يفتقد للمنهجية اللسانية، تمكننا من الوقوف على طبيعة العلاقات أو الوظائف التي ربطت تلك الوحدات من ذلك النظام.

وقد تأثر بهذا المنهج السوسيري (نسبة إلى "**دو سوسير**") لغويون كبار أمثال:(1)

- "**نيكولا تروبتسكوي**" **(Nicolas Troubetskoy)** (**1938/1890**): رئيس نادي حلقة براغ
- الدانمركي "**هيلمسليف**" **(Louis Hjelmslev)** **(1965/1899)**: رئيس نادي كوبنهاجن
- "**أندري مارتيني**" **(André Martinet)** **(1990/1908)**: زعيم البنيويين الوظيفيين في فرنسا
- "**ليونارد بلومفيلد**" **(Leonard Bloomfield)** **(1949/1887)**
- "**زليج هاريس**" **(Zellig Harris)** **(1909)**، "**شومسكي**" **(1928)**

- ولعل الجامع لهؤلاء الأعلام هو تشيعهم لطروحات هذا المنهج وأبعاده في ظل النقد الذي وجهه "**دو سوسير**" للدراسات اللسانية السابقة التي اعتمدت على المنهج التاريخي والمقارن باعتبارها غير قادرة على تلبية طموحاته المعرفية في ضوء الدقة العلمية والصرامة المنهجية.

---

(1) المرجع السابق، ص37.

2 – مرحلة الدلالية (أو الدلاليات):

ارتبطت بالمنهج التوليدي الذي ساد الدراسات اللغوية في نهاية الخمسينيات، تأسست هذه المرحلة على جملة من المبادئ التي تقدم بها "**نوام شومسكي**" مشكلة نقطة تحول هامة في المنهج اللساني وتقنيات الدراسة، بخروجه عن نمطية الوصف المألوفة، والتي ميزت الدراسات اللسانية السابقة باقتصارها على حدود الظاهرة الشكلية دون أي انطباعات خارجية أو تأويلات لا نصية، في حين أن منهج "**شومسكي**" الجديد يصف، ويفسر، ويعلل.

سار في هذا المنهج الجديد الذي خطه "**شومسكي**" أعلام كثر أمثال:(1)

"كـــاتز" (J.J. Katz)، "فـــدور" (J.A. Fador)، "مكـــاولي" (J.D. Maccawley)، "لايكوف" (G. Lakoff)، "بوستال" (P. Postal)، "فيلمور" (C.H. Filmore).

3 – مرحلة التداولية (أو التداوليات):

اقترنت بالمنهج التداولي الذي نشأ كردة فعل على التصور التجريدي سواء مع رائد اللسانيات الحديثة "**دو سوسير**" الذي جعل اللغة موضوع دراسته لا الكلام، أو صاحب النظرية التوليدية التحويلية "**شومسكي**" الذي حصر موضوع تنظيره في القدرة اللغوية لا الأداء، الأمر الذي جعل "**ديل هيلمس**" يشُن هجوما عنيفا على "**شومسكي**" في مقال شهير له سنة **1971**م أعاد الاعتبار للنظريات السياقية، التي انصب اهتمامها وتركيزها على مرجع العلامة اللغوية (كلمة أو جملة أو نصا)، وعلاقات العلامة بشكل عام بمستعمليها.

---

(1) المرجع السابق: ص**38**.

4 – مرحلة النصية (أو النصيات):

وهي تتويج للنداءات الملحة التي ظهرت في أكثر من مكان في العالم، بتجاوز الجملة – هذه الأخيرة التي سيطرت سيطرة كلية طوال قرون عديدة – والبحث عن وحدة اكبر منها تكون مادة أساسية للدراسات اللسانية الحديثة، ظهر النص بديلا للجملة.

إن الإرهاصات الأولى لهذه المرحلة تعود إلى دراسات كل من "**هاريس**" و"**هيلمسليف**"، وبتطور هذه الدراسات ازداد إقبال الدارسين عليها أمثال:[(1)]

- **"هاريس"، "هيلمسليف"، "ستامبل" (Stempl)، "ديبقراند" (R. Debeaugrand)، "هارتمان" (P. Hartman)، "فان ديك" (Van Dijk)، "دروسلر" (W.V. Dressler)، "برانكر" (Brinker)، "آدم" (J.M. Adam)،**

- أما عن الولادة الفعلية للسانيات النص فكانت بصدور المؤلف الموسوم ب"مقدمة في لسانيات النص" **(Introduction to Text Linguistics) (1981)** لصاحبيه "**ديبقراند ودروسلر**". فأصبحت لسانيات النص أو علم النص أو نحو النص – وكلها تسميات مختلفة لمعنى واحد – هي الدراسة اللغوية لبنية النص أو الخطاب.

ومما سبق يمكننا أن نخلص إلى جملة من النتائج التي تمكننا من مقاربة الفصول التي ستلي هذا التمهيد أو المدخل العام:

* إن البنيوية الأمريكية الذي يعد "**هاريس**" أحد روادها قد عالجت موضوع النص أو الخطاب بالتصور نفسه الذي عالجت به الجملة، غير أنه انتقل بها من مستوى أصغر (الجملة) إلى مستوى أشمل (النص أو الخطاب)، إذ لا يعد الفرق بين النص والجملة فرقا جوهريا بقدر ما يعد كميا.

---

(1) المرجع السابق: ص**40**.

* إن اهتمام "**شومسكي**" بالبعد الدلالي، واعتماده على التفسير، بقي محصورا في إطار الجملة و لم يتجاوزها إلى وحدة أكبر، فكان ذلك مدعاة للبعض إلى الاهتمام بالكلام والسياق.

* لما بلغ الدرس اللساني مستوى الاهتمام بالسياق في إطار نظرية الاتصال، ظهرت كوكبة من الباحثين تنادي بضرورة تحول الدراسات اللسانية من الجملة إلى النص، فكان أن اتجهت الدراسات نحو البحث عن لسانيات نصية.

الفصل الأول

الفصل الأول:

الإطار النظري للدراسة

مظاهر الاتساق والسياق في الدراسات النصية الحديثة

الإطار النظري للدراسة

مظاهر الاتساق والسياق في الدراسات النصية الحديثة

أ- مفاهيم أولية:

1- النص

2- النص والخطاب

3- النص والسورة

4- نحو النص

ب- المفاهيم الأساسية للاتساق المستثمرة في الدراسة:

1- الاتساق

2- مظاهر الاتساق:

2- 1- الإحالة

2- 2- التوابع

2- 3- التكرار

2- 4- الحذف

ج- المفاهيم الأساسية للسياق في الدراسات النصية بصفة عامة والنص القرآني بصفة خاصة:

1- مفهوم السياق

2- أنواع السياق

3- المناسبة في الدراسات القرآنية

4- الانسجام

5- مظاهر الانسجام:

5- 1- المقامية

5- 2- القصدية

5- 3- المقبولية

5- 4- الإعلامية

5- 5- التناص

أ- مفاهيم أولية:

1- النص:

عُنيت لسانيات النص باعتبارها فرعا من فروع اللسانيات، بدراسة النص، فاتخذت منه مادة لأبحاثها يمكنها كبنية كلية أن تستوعب كل الظواهر اللغوية وغير اللغوية التي تساهم في عملية التواصل.

فاهتمت بدراسته، وأبرز مميزاته، وحده، وتماسكه، واتساقه، وحددت الكيفيات التي ينسجم بها النص أو الخطاب، وبحثت عن محتواه الإبلاغي التواصلي.

وبما أن هذا العلم يتسم بتشعبات غزيرة، لا نكاد نعثر من خلالها إلا على قدر ضئيل من الاتفاق حول مفاهيمه، فقد استوعب هذا الأخير حدا لا يستهان به من التعريفات نظرا لاختلاف مشارب وتباين تصورات ومناهج كل باحث فيه.

فتراكمت تعريفات النص، بعد أن أدلى كل واحد بدلوه، فمنها ما اعتمد على تابع المكونات الجملية، وبعضها أضفى على تلك الجمل المتتابعة خاصية الترابط، وراح فريق آخر يعتمد على التواصل النصي والسياق، وارتأى قسم رابع الاعتماد على الإنتاجية الأدبية، في حين فضل آخرون أن يقوم عملهم على جملة المقاربات والمواصفات المختلفة التي تجعل الملفوظ نصا.(1)

وقبل الولوج في المفهوم الاصطلاحي "للنص" لعل من المفيد أن نبدأ بعرض معانيه اللغوية، محاولين معرفة التقارب بينهما إن وُجِد.

إن المتأمل في المعجم العربي يجد أن المعنى اللغوي للنص يدور حول الأمور التالية: الارتفاع، والظهور، والثبات، وضم الشيء، والغاية القصوى من كل شيء ومنتهاه.

---

(1) ينظر أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص21.

جاء في لسان العرب في مادة (ن ص ص) ما يلي:

النصُ هو رفعك الشيء، ونَصَّ الحديثَ ينُصُّهُ نصًّا: رفعه. وكُلُّ ما أُظهر فقد نُصَّ. والمِنصَّة ما توضع عليه العروس لترى. والنَّصْنَصة إثبات البعير ركبتيه في الأرض وتحركه إذا هم بالنهوض. ونَصَّ المتاعَ نصًّا: جعل بعضه على بعض. وأصل النّصِّ أقصى الشيء وغايته، وهو نوع من السير السريع. ونصُّ كل شيء منتهاه.(1)

وعليه وإن كانت المعاني اللغوية للنص في المعجم العربي تبدو بعيدة نوعا ما عن الدلالة، لأنها اقتصرت على دلالة معينة هي الرفع والإظهار والثبات، إلا أنني أجد في معنى: ضم الشيء إلى الشيء، وفق ما جاء في اللسان أن (نصَّ المتاعَ جعل بعضه على بعض)، من التقارب الكبير بينه وبين المعنى الاصطلاحي للنص الذي جعله البعض ضمُّ بعض الجمل إلى بعض مع إعمال الروابط.(2)

غير أن هذا التعريف البسيط لا يكفي ولا يفي بالمقصود ويضعنا أمام عقبة كؤود تتمثل في تحديد المعنى الاصطلاحي للنص، والداعي إلى هذا التحدي هو صعوبة تحديده نظرا لعدم وجود نصيب مشترك من ملامح الاتفاق بين الدارسين لمصطلح "النص" ذاته، لأننا قد نجد لدى باحث واحد في أكثر من موضع عددا من التعريفات، يختلف فيه محتوى كل تعريف عن الآخر.(3)

---

(1) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط03، 1994م، مادة (ن ص ص)، مج07/97-98.

(2) يُنظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج01، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص28.

(3) ينظر د/ سعيد حسن بحيري: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1997، ص113.

لقد احتل تعريف النص حيزا كبيرا عند المهتمين بلسانيات النص، وعلى هذا فإن مفهوم النص ضرورة ملحة نحاول تفصيلها، إلا أن البحث عن مفهوم موحد جامع يعد ضربا من المستحيل وفي وسط هذا الزخم من التعريفات الاصطلاحية، فقد ذكر أحد الباحثين بعد أن أورد حوالي أربعة عشر مفهوما لمصطلح النص، أنه لا توجد صعوبات تواجه علما من العلوم مثلما هل الحال بالنسبة لعلم لغة النص.(1)

لذلك لم يبق لنا إلا أن نحاول عرض بعض التعريفات المختلفة التي تمكننا من الاقتراب من مفهومه.

- بنى بعض الباحثين مفهوم النص على الجملة، ومن هؤلاء **"برنكر" (Brinker)**، و**"إيزنبرج" (Isenberg)**، و**"شتاينتز" (Steinitz)** وغيرهم، وذهبوا إلى أنه تتابع مترابط من الجمل، هذا يعني أن الجملة تمثل جزءا صغيرا يرمز إلى النص، وننحن قادرون على وضع ما يحدد هذا الجزء من خلال نقطة، أو علامة استفهام، أو علامة تعجب، وبعد ذلك يمكننا أن نصفها على أنها وحدة مستقلة.(2)

إذا كانت الجملة هي أصغر وحدة مكونة للنص عند هؤلاء، فإنها هي الأخرى لم تكن أسعد حظًّا؛ حيث تعددت تعريفاتها، وتنوعت، ولم يُتفق على تعريف محدد لها. وعلى هذا كون النص مركبا من عدة جمل يؤدي بالضرورة إلى الغموض، أو انعدام خاصية الترابط فيه أحيانا لاستقلالية الجمل على حد الاستنتاج السابق. ولهذا يعلق **"برند شبلنر" (Brend Spillner)** على هذا التعريف بأنه دائري يعرف النص بالجملة والجملة بالنص، كما أنه غير ممنهج علميا، لغموض الرموز التي يتضمنها، ويبقى تطبيقه أمرا مستبعدا.(3)

---

(1) ينظر م.ن.ص.ن.

(2) ينظر برند شبلنر: علم اللغة والدراسات الأدبية (دراسة الأسلوب، البلاغة – علم اللغة النصي)، ترجمة محمود جاد الرب، الرياض، الدار الفنية للنشر والتوزيع، **1991**، ص**188**.

(3) ينظر برند شبلنر: المرجع السابق، ص. ن.

ويمكننا أن نؤيد هذا التعليق لعدم وضوح ما يفصل بين الجملة والنص، إضافة إلى وصف الجمل بالاستقلالية، كما أنه إذا وسعنا مجال دراسة الجملة لتصبح نصا، فإنه يترتب على هذا مشكلات تؤثر على النص، من بينها عزل النص عن السياق، وكذا عدم وجود التماسك أو الانسجام.(1)

- وهناك من يؤكد خاصية مميزة للنص وهي وقوعه في الاتصال ويجعلها أساسا في تحديد النص، كما يقول "**جيفري ليتش**" **(J. Litch)** و"**مايكل شورت**" **(M. Chort)** إنه عبارة عن توصيل لغوي – منطوق أو مكتوب – على اعتبار أنه رسالة مشفرة في صورتها المسموعة أو المرئية.(2)

* إن التركيز على خاصية الاتصال للنص جعل منه وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين دون تحديد لنوعية هذه الشيفرات التي تحمل الأفكار، ما جعل المجال مفتوحا بحيث يسمح أن تكون الجملة نصا، كما يمكن لأية حروف معينة أو إشارات مكتوبة أو مسموعة أن تشكل نصوصا. هذا كله يجعل التعريف الأخير يتسم بالغموض، فلا نعده تعريفا إجرائيا.

- وزاد "**شميت**" **(S.J. Schmits)** على خاصية التواصل البعد الدلالي لمفهوم النص، فقد أشار إلى أنه تكوين لغوي منطوق في إطار عملية الاتصال، محدد من جهة المضمون، يمكنه تحقيق قدرة إنجازية.(3)

هذا التعريف يعطي قيمة معتبرة للجانب الدلالي إلى جانب البعد التواصلي، ويجعل النص ذا قدرة إنجازية بين المتواصلين. كما يبدو أن "**شميت**" حرص على أن يكون النص محددا من جهة وحدة الموضوع والمقصد.

---

(1) ينظر أحمد عفيفي: نحو النص، ص23.

(2) ينظر م. ن. ص20.

(3) ينظر سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ص81.

- وهناك من التعاريف ما يؤكد على الحد الكتابي للنص فهي ترى بأنه نسيج من الكلمات المنظومة والمنسقة والمثبتة في التأليف، أو لنقل إن النص هو الكتابة نفسها وهو ما ذهب إليه "**رولان بارت**".(1)

إلا أن هذه التعاريف على قدر تأكيدها على الحد الكتابي استبعدت كل الحدود الكلامية.

- وهناك من اهتم بخاصية الربط في تعريفه، لأن الربط فيها هو كل شيء، فيعرف النص بأنه ذلك النسيج من الكلمات المترابطة، هذا النسيج يجمع عناصره المختلفة في كل موحد، وهو ما أثبته الأزهر الزناد.(2)

وكما نرى يهتم هذا التعريف بالترابط اهتماما كبيرا دون الإشارة إلى الكتابة أو النطق.

* إذا نظرنا إلى التعريفات التي أوردناها سابقا بشيء من التأمل نرى أن كل تعريف يركز على جانب واحد وبُعد معين، ويسقط جوانب أخرى. فالنص ليس مجرد لغة، ولا هو عبارة عن اتصال، ولا مجرد كتابة، وليس جملا مترابطة يراعى فيها الظروف الخارجية. نقول إنه يتكون من كل تلك الأمور وأكثر.(3)

ولهذا سوف أتبنى ما أشار إليه الدكتور "**صلاح فضل**" عندما قال: "علينا أن نبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قُدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية".(4)

- وفي الأخير نقول إن كل التعريفات المختلفة التي حاولت أن تقترب من مفهوم النص لا تخرج عن أحد هذه المعايير:(5)

(1) ينظر أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص26.

(2) ينظر أحمد عفيفي: نحو النص، ص26–27.

(3) ينظر م. ن. ص27–28 .

(4) ينظر صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، 1996.

(5) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج1، ص28–29.

- التأكيد على الحد الكتابي أو الحدود الكلامية، أو كليهما

- مراعاة البعد الدلالي

- مراعاة حجم النص

- مراعاة الجانب السياقي وهو متعلق بالجانب التداولي

- مراعاة التماسك النصي: (نرى أغلب اللسانيين يصرون على وحدة وتماسك النص وهو القاسم المشترك لكل التعريفات التي تراهن على أن النص وحدة متكاملة تشدها خاصية الترابط).

- مراعاة الجانب الوظيفي

- التأكيد على البعد التواصلي بين المنتج والمتلقي

- الربط بينه وبين مفاهيم تحويلية، مثل الكفاءة والأداء... وغيرهما

- إبرازا كونه مقيدا

فإذا توافرت هذه الشروط في نص ما من النصوص، يمكننا حينها أن نطلق عليه نصا كاملا.

2- النص والخطاب:

بعد أن فرغنا من بعض تعاريف النص المشهورة، تحسن بنا الإشارة إلى مصطلح آخر يستعمله بعض المنظرين كبديل للنص أو مرادف له، يتداخل معه إلى حد يصعب التفريق بينهما، إنه مصطلح "الخطاب".

وبرجوعنا إلى مادة (خ ط ب) في لسان العرب، نحاول استخلاص أهم المعاني الواردة والتي لها انعكاس مباشر على المفهوم الاصطلاحي للخطاب.

الخِطَابُ لغة هو مراجعة الكلام، وقد خَاطَبَهُ مُخَاطبَةً وخِطَابًا، وهما يتخاطبان. وصيغة مخاطبة هنا جاءت على وزن مفاعلة وهي تفيد المشاركة والتفاعل. والخُطْبَة هي

الكلام المنثور المسجع الذي يتكلم به الخطيب، والخُطْبة مثل الرسالة التي لها بداية ونهاية.(1)

يتضح لنا مما سبق أن الخطاب في اللغة هو فعل إنجازي آني يشترط لقيامه وحدوثه مشاركة طرفي الخطاب من خلال تفاعلهما مواجهة ومشافهة.

إن أول(2) من تطرق لمفهوم الخطاب صراحة هو **(Harris)** من خلال عمله الرائد الذي نشره علم **1952** بعنوان "تحليل الخطاب"، منطلقا من مفهوم الجملة، ومطالبا .بمستوى أعلى للتحليل اللساني يتجاوز نطاق الجملة في إشارة منه إلى الخطاب أو النص.

لقد تعددت مفاهيم مصطلح "الخطاب" بتعدد تصورات المهتمين به، والتي تمايزت عن بعضها وتكاملت في القوت ذاته. كما تنوعت منطلقات الباحثين بسبب اختلاف فهمهم.

في ما أنتج في مجال نظرية الخطاب. ويمكننا تلخيص بعض مفاهيمه كما يلي:(3)

- يرادف مصطلح الخطاب مصطلح الكلام **(Parole)** بحسب رأي "**دو سوسير**" البنيوي
- هو وحدة لغوية يقوم المتكلم بإنتاجها، وهي تجاوز حدود الجملة بحسب "**هاريس**"
- الخطاب وحدة لغوية تفوق الجملة يشترط فيها البعد التواصلي بحسب رأي "**بنفنست**"
- وهو يقابل الملفوظ في المدرسة الفرنسية

---

(1) **ينظر ابن منظور: لسان العرب، مادة (خ ط ب)، المجلد الأول، ص360 –361.**

(2) **ينظر حنان مباركي: انسجام النص الكلامي عند الجاحظ (دراسة في رسائل الجاحظ الكلامية)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات، 2008/2007، ص6.**

(3) **ينظر فرحانبدري العربي: الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 (1424هـ/2003م)، ص39–40.**

وأخيرا يمكن تلخيص مصطلح الخطاب من خلال وضع الاصطلاح الأكثر عمومية له، فهو نظام أو نسق تعبير متقن.

- ومن المعاني العامة للخطاب والنص نخلُص إلى أن معنييهما الاصطلاحي قريب جدا من معانيهما اللغوية، وأنهما يشتركان في العديد من المعاني، إلى درجة أن هناك كثيرا من الباحثين يرادف ويساوي بينهما.

لقد استعمل مصطلحا "النص والخطاب" في الدراسات الحديثة حول بنية اللغة دون تمييز كبير بينهما، فعندما تكون مادية اللغة، وشكلها، وبنيتها هي الموضوع يتجه التأكيد إلى استعمال مصطلح "النص"، وحين يكون، محتوى اللغة ودلالتها الاجتماعية هي الموضوع تتجه الدراسة "للخطاب".

ويفرق بعض الباحثين بين المفهومين على أساس الكتابة، ومن ثم التواصل؛ لأن المُدَوَّن والمكتوب من منظورهم لا يحقق شروط عملية الاتصال، لأن المتلقي مفقود ولا يكون التأثير عليه مباشرا. فالخطاب هو كل ملفوظ قبل تدوينه.(1)

إن هذا الأساس (الكتابة) الذي بنى عليه بعض الباحثين التفريق بين النص والخطاب ليس صحيحا: لأن البُعد التواصلي ليس غائبا في النصوص المدوّنة، بل هو موجود وحاضر، فعلى الرغم من أن المتلقي مفقود في الظاهر فإن النص يفترض وجود راوٍ ومستمع أو قارئ، ولا يخلو من كل الظروف والملابسات ووسائل الإبلاغ والتأثير في الآخر في ضوء سياق معين.

غير أن أغلب الدراسات ترادف بينهما وتعطيهما تعريفا واحدا، وبحسب رأيي أن الإشكالية بين المفهومين هي إشكالية مصطلحات لا غير؛ لأن كل باحث إذا تشيع إلى نظرية ما، أو انضوى تحت لواء رائد مؤسس، نجده يتبنى مصطلحاته في الدراسات والأبحاث التي يجريها، وهكذا تتعدد مصطلحات المفهوم الواحد من باحث إلى آخر.

---

(1) ينظر صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص**278**.

ولكن رغم كل هذا يبقى النص معطى أوليا لكل أنظمة الفكر الإنسانية، والأكثر شيوعا وتداولا خاصة في مجال اللسانيات وفقه اللغة والأدب، والصفة المميزة له هي الوقوع في دائرة الاتصال. وبذلك تكون لسانيات النص قد وُجِدَت لتكون مجالا لفظيا يتناول النصوص في دراسته بكل أحجامها وأشكالها.

3- النص والسورة:

انطلاقا من مدونة البحث - سورة الكهف - التي اخترناها للدراسة من زاوية الاتساق والسياق، يقتضي البحث أن نوضِّح بعض المصطلحات أو المفاهيم المتعلقة بها سيرورته، من هذه المصطلحات مصطلح "السورة"، نحاول أن نقف بشيء من التفصيل عليه وعلى علاقة السورة بالنص.

- في مفهوم السورة:

أ- المعنى اللغوي:

- السورة: المترلة الرفيعة، قال الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سورَةً * تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ**(1)

- والسورة من البناء: مَا حَسُنَ وطَالَ.(2)

- سميت السورة من القرآن سورة لأنها درجة إلى غيرها، ومن همزها جعلها بمعنى بقية من القرآن وقطعة.(3)

---

(1) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 : 1418هـ 1998م، بيروت – لبنان، ص254-255.

(2) ابن منظور: لسان العرب، مج04، ص386.

(3) نفسه، الصفحة نفسها.

- والسورة من سور القرآن عندنا قطعة من القرآن سبق وُجدانها جَمْعَها، كما أن الغرفة سابقة للغرف، وأنزل الله عز وجل القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم شيئا بعد شيء وجعله مفصلا، وبين كل سورة بخاتمتها وبادئتها.[(1)]

وجاء في المفردات في غريب القرآن:[(2)]

سورة المدينة حائطها المشتمل عليه. وسورة القرآن تشبيها بها لكونه محاطا بها وإحاطة السور بالمدينة. ومن قال سُؤْرَة فمن أَسْأَرْتُ أي أَبْقَيْتُ منها بقية كأنها قطعة مفردة من الأحكام والحكم. وقيل أَسْأَرْتُ في القِدَح أي أبقيت فيه سُؤْرًا، أي بقية.

والمتأمل في هذه المعاني اللغوية على تعددها يجدها تدور حول الأمور التالية:

- المترلة الرفيعة
- قطعة القرآن
- الإحاطة
- التصاعد والتركب

ب- المعنى الاصطلاحي:[(3)]

واصطلاحا السورة هي قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات وهي سورة الكوثر.

وقيل: الطائفة المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم.

والسورة تشتمل على آيات، والآيات قرآن مركب من جمل ولو تقديرا، ذو مبدأ ومقطع، مندرج في سورة.

---

(1) م. ن. ص**387**.

(2) الراغب الأصفهاني: المرجع السابق، ص**255**.

(3) أ.د/ عبد الصبور مرزوق: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، الإصدار الأول، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، **1421**هـ/**2000**م، ص**310**.

ويمكن بلورة المعاني السابقة كما يلي:(1)

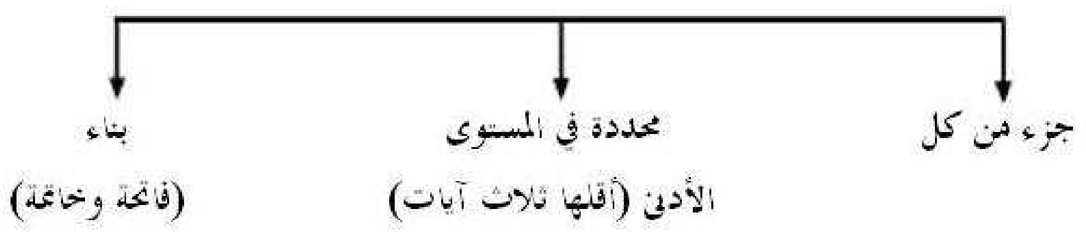

ما نخلُص إليه من خلال عرض هذه المعاني العامة للسورة، أن معانيها اللغوية تقترب كثيرا من معناها الاصطلاحي.

- أما عن العلاقة بين السورة والنص فيبدو لنا بقليل من التمعن أنهما يتقاطعان ويشتركان في عدة نقاط نحاول اكتشافها:

- السورة تشتمل على آيات والآيات قرآن مركب من مبدأ ومقطع. كذلك النص فهو تتابع مترابط من الجمل، فالجملة تمثل جزءا يرمز إلى الكل (النص) يمكن تحديد هذا الجزء بعلامة معينة.

- ومن الخصائص المميزة للنص خاصية الاتصال، فالسورة كذلك توصيل لغوي مكتوب، ينقل الأحكام والحكم للآخرين، وفيه كل العناصر المقامية التبليغية من مُرسل ومُرسل إليه، ورسالة ومرجع...

- السورة بناء تحكم أجزاءه مجموعة من العلاقات، كذلك النص فهو نسيج متماسك من الكلمات المنظومة والمترابطة تجمع عناصره في كل موحد.

وهكذا لو واصلنا التنقيب عن أهم الخصائص المميزة للنص، لوجدناها تتجلى في السورة وتتطابق مع خصائصها. وبناء عليه نقول إن السورة تشترك في الكثير من الخصائص البنيوية والدلالية، والتداولية مع النص، إلى درجة الانطباق التام مما يسوغ لنا القول بأن السورة عبارة عن نص تتوافر فيه كل مقومات الاتساق والسياق.

---

(1) مفتاح بن عروس: في علاقة النص بالمقام (سورة الكهف أنموذجا)، مجلة اللغة والأدب (ملتقى علم النص)، جامعة الجزائر، العدد **14**–شعبان **1420**هـ/ديسمبر **1999**م، ص**298**.

4- نحو النص:

كانت الدراسات النحوية الصورية السابقة أرضية صلبة، ومنطلقا انطلقت منه الاتجاهات النصية الحديثة، اقتصرت على الجملة ومتواليات الجمل باعتبارها أكبر وحدة لسانية، ونظرا لقصور وعجز نحوُ الجملة على تفسير بعض الظواهر اللغوية بصورة دقيقة، بدأ الاهتمام يدعو إلى تجاوز الدراسات اللغوية مستوى الجملة إلى مستوى النص، محاولا نقل البحث إلى فضاء أوسع وأشمل من الجملة، فضاء يهتم بقضايا النص ويربط بين اللغة والموقف الاجتماعي.

وهكذا بدأ التوجه الجديد يتشكل وأخذت ملامحه في التبلور منذ الستينات تقريبا، وعُرِف هذا الاتجاه بلسانيات النص **(Text Linguistics)**، واللســـانيات النصية **(Textual Linguistics)**، ونحو النص **(Text Grammar)**، وغيرها من التسميات المختلفة، وقد عرضنا لهذا في المدخل العام في مرحلة النصية.

ويُعد مصطلح "نحو النص" من المصطلحات التي وضعت لنفسها هدفا يتمثل في الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية.**(1)** يشترك معه في تحقيق هذا الهدف بعض المصطلحات التي تُعنى بذلك أيضا، وإن كان مصطلح "نحوُ النص" يقترب أكثر من تحقيق الهدف وتوضيح صور التماسك والترابط النصي. ويرى **"فان ديك"** أن وظيفة علم لغة النص الأولى هي دراسة نحو النص.**(2)**

في الواقع لم نواجه صعوبات أمام هذا المفهوم، فلم نجد خلافا كبيرا حوله بالقدر الذي وجد في تعريفات مصطلح النص.

---

(1) ينظر أحمد عفيفي: نحو النص، ص**31**.

(2) ينظر د. سعيد بحيري: علم لغة النص، ص**222**.

- فقد عرفه "**جاك ريتشاردز**" **(J. Richards)** بأنه فرع من فروع علم اللغة، يهتم بدراسة النصوص المنطوقة والمكتوبة على حد سواء، مؤكدا الكيفية التي انتظمت بها أجزاء هذه النصوص وارتبطت فيما بينها لتخبر عن الكلِّ المفيد.[(1)]

- فهو إذن الدراسة اللغوية للأبنية النصية[(2)] كما يرى "**دافيد كريستال**" **(David Crystal)**.

- أما "**نيلز**" **(Nils)** فيعرفه بأنه دراسة الأدوات اللغوية التي تحقق صور التماسك النصي (الشكلي والدلالي)، مع مراعاة السياق وخلفية المتلقي المعرفية بالنص.[(3)]

- ويعرفه "**صبحي إبراهيم الفقي**" بقوله: "هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه والإحالة المرجعية وأنواعها، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء"[(4)]

* من خلال هذه التعريفات التي أوردناها يتضح لنا أنها تتفق تقريبا على أن هذا العلم تفرع من علم اللغة يدرس لغة الأبنية النصية سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة، باعتبارها أكبر وحدة لسانية، تتجلى مهامه في دراسة العناصر التي تؤدي إلى تماسك النص وترابطه مستعينا بأدوات شكلية، ودلالية، وتداولية، وكل الخواص التي يمكن أن تعطي عرضا لمكونات النظام أو البناء المتميز.

---

(1) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج**1**، ص**35**.

(2) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: م. ن. ص. ن.

(4) ينظر: م. ن. ص**36**.

- ويقـــابل "نحو النص" في اللغـــات الأجنبية مصطلح **(Grammaire de Texte)** أو **(Text Grammar)** وهو عند أغلب الدارسين لا يختلف عن لسانيات النص الذي استعمله "**محمد خطابي**" و"**تمام حسّان**"، واستعمل "**سعيد حسن بحيري**" و"**إلهام أبو غزالة**" علم لغة النص، واستعمل "**صلاح فضل**" و"**جميل عبد المجيد**" علم النص، وهو أشمل من نحو النص ولسانيات لأنه لا يقتصر على نوع واحد من التحليل بل يتجاوزه إلى أشكال أخرى من النصوص (كالإعلانات، الإشهار، المقالات الصحفية، الأفلام السينمائية، وكل نتاج ثقافي معاصر جاء في هيئة نص). أما "**صبحي إبراهيم الفقي**" فقد استعمل مصطلح علم اللغة النصي، واستعمل "**إبراهيم خليل**" نظرية النص، بينما "**أحمد عفيفي**" فقد استعمل "نحو النص"، الذي يرى أن مهمة النحو الذي يتجه إلى الجملة قد غير أهدافه بتجاوزها إلى أهداف جديدة لم تكن موجودة في نحو الجملة، فالتحليل اللغوي اتجه إلى النص، وبالتالي كان تغير المنهج والأهداف داعيا لضرورة الحاجة إلى نحو النص.

* وبناء على كل ما سبق نخلص إلى جملة من الملاحظات لعل أهمها ما يلي:

1- يمكن تطبيق هذا المنهج على النص والخطاب على حد سواء (فلا فرق بينهما فيما نرى كما أوضحنا سابقا)، كما أن الوسائل التي تستعمل في تحليل النص والخطاب واحدة

2- يعالج هذا المنهج الجانب اللغوي الشكلي، والجانب الدلالي التداولي

3- تتعدد تسميات هذا العلم عند الباحثين، ولعل أهم ترجمة نراها مناسبة للمصطلح الأجنبي هي لسانيات النص، وهي الأكثر شيوعا وتداولا. وأما ما هو أقرب إلى بحثنا فهو "نحو النص" لأننا سنتعامل مع جملة من الروابط النحوية من جهة، والتبليغية السياقية من جهة أخرى.

ب- المفاهيم الأساسية للاتساق المستثمرة في الدراسة:

1- الاتساق – Cohésion[(1)]

يتعامل نحو النص مع النصوص باعتبارها بنية كلية غير قابلة للتجزئة، وبالتالي يقوم التحليل النحوي على كشف و"تحليل الخواص التي تؤدي إلى تماسك النص، وعطي عرضا لمكوناته التنظيمية النصية".

ومن هذا المنطلق شغل التماسك أو الاتساق مساحة شاسعة في الدرس اللساني الحديث، فقد حظي باهتمام كبير من قبل علماء النص، بدءا بالوقوف على مفهومه، وتبيين أدواته، ووسائله، والسياقات التي تكتنف النص، وعلاقتها به، وانتهاء عند تحليل نماذج معينة توضح هذه الأمور كلها.[(2)]

ونظرا لأهميته البالغة هناك من علماء اللغة من جعلوا مؤلفاتهم تحمل هذا المصطلح، ولعل أهمها كتاب "**هاليداي**" و"**رقية حسن**" **(Cohesion in English)**، وقد أكدا فيه على التماسك لدرجة تجعلنا نعتقد أن النص ما هو إلا تماسك.[(3)]

وهكذا أصبح التماسك يفرض وجوده في كل النصوص، ذلك لأن كل جملة تتوافر على بعض أشكال التماسك مع سابقتها مباشرة، كما أن كل جملة – على الأقل – تتضمن أداة أو وسيلة ربط تربطها بما قبلها وبما سوف يأتي.[(4)]

- ويعرف الاتساق بكونه مجموعة الإمكانيات المتوافرة في اللغة والتي من شأنها أن تجعل أجزاء النص تتماسك.[(5)]

---

(1) Holliday, M. A. K. and Ruqaia Hasan (1976) cohesion in English. Longman, London, p. 4.

(2) ينظر: صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، ج1، ص93.

(3) ينظر: م. ن. ص. ن.

(4) Holliday and Ruqaia Hasan, Ibid, p. 324.

(5) ينظر محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، جامعة منوبة، كلية الآداب، تونس، 2001، مج1. ص124.

- فالاتساق هو ذلك التماسك بين الأجزاء التي تشكل النص، ويتعلق بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل عناصر النص.(1)

- كما أنه يعني العلاقات النحوية أو المعجمية، بين عناصر النص المختلفة، فمعنى الاتساق **(Cohésion)** يتعلق بالروابط الشكلية.(2)

- ويرى "**دافيد كريستال**" بأنه متصل بالبنية السطحية للنص.(3)

* بعد هذا العرض الموجز لبعض مفاهيم الاتساق نقول بأن الاتساق يمثل دعامة أساسية من دعائم الدرس النصي، فهو يتصل بالتماسك النصي داخل النص، ويرتبط بالوسائل والروابط الصورية السطحية، وتتحد مهمته في توفير عناصر الالتحام، وتحقيق الترابط بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، هذا الترابط هو الذي يخلق بنية النص، ويحقق استمراريته.

---

(1) ينظر محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط2، 2006، ص05.

(2) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج1، ص95.

(3) نفسه ص96.

2- مظاهر الاتساق:

تعددت آراء العلماء واختلفت حول الأدوات المحققة للتماسك النصي، غير أن هذا لا يمنع من وجود أدوات رئيسية تشترك بينهم، وسنحاول أن نعرض بعض ما قدمه النصيون فيما يتعلق بحصر هذه الأدوات. ومن أبرز من تحدث عن أدوات التماسك "**هاليداي**" و"**رقية حسن**"، فقد قدما في مؤلفهما "التمـــاسك في الانجليـــزية" **(Cohesion in English)** خمسة أقسام يريان بأنه بإمكانها أن تحقق الاتساق وهي:(1)

1- الإحالة - **Reference**

2- الاستبدال - **Substitution**

3- الحذف - **Ellipsis**

4- الوصل - **Conjunction**

5- الاتساق المعجمي - **Lexical Cohesion**

وهي عند "**دافيد كريستال**" تتلخص في:(2)

1- العطف

2- المرجعية بأنواعها القبلية والبعدية

3- الاستبدال

4- الحذف

5- التكرار

6- أدوات معجمية

---

(1) Holliday and Hasan, Cohesion in English, p. 40.

(2) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج1، الهامش 2، ص118.

ومن خلال هذا العرض يتضح أن أدوات التماسك النصي كثيرة ومتنوعة، وسنحاول التركيز على أكثرها ورودا، وأكثرها تأثيرا في تحقيق التماسك، وأكثرها إسهاما في التحليل النصي وهي: المرجعية (الضمائر - الإشارة - الموصول)، العطف، التأكيد، البدل، النعت، الحذف، التكرار. مع مراعاة دور السياق كلما اقتضت الحاجة في كل من هذه الفصول.

2-1- الإحالة (الضمائر الشخصية والإشارية الموصولة):

ينقل **"براون ويول" (Brown & Yule)**(1) عن **"جون لاينز" (J. Lyons)** مفهوم الإحالة بأنها العلاقة بين الأسماء والمسميات. هذه الأسماء تحيل إلى المسميات وفق علاقة دلالية تفضي بتطابق وتماثل المحيل والمحال إليه.(2)

ويرى **"شتراوس" (Strauss)**(3) في تعريف له نقله عنه أيضا الباحثان **"براون"** و**"يول"** بأن الإحالة هي ما يحيل عليه (المتكلم أو الكاتب) عندما يستعمل تعبيرا ما، وليست ما يقوم به هذا التعبير.

---

(1) ينظر ج. ب. براون وج. يول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطي، د. منير التركي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ /1997م، ص36.

(2) ينظر محمد خطابي: لسانيات النص، ص17.

(3) ينظر "براون ويول": المرجع السابق، ص36.

ويبدو لنا هذا التعريف دقيقا باعتبار أن المتكلم أو الكتاب له الحق في الإحالة وفقا لما يريده هو، وعلى القارئ أن يدرك كيفية تلك الإحالة من خلال النص والمقام.**(1)**

- ويمكننا تقسيم الإحالة إلى قسمين رئيسيين:**(2)**

1- إحالة داخل النص **(Enclophora)** وتسمى النصية **(Textual)**: وتسهم مباشرة في تحقيق اتساق النص لأنها تحيل داخله. وتنقسم بدورها إلى:

أ- إحالة قبلية **(Anaphoro)**: وهي تعود على عنصر سابق، سبق ذكره والتلفظ به، وهي أكثر الأنواع شيوعا في الكلام.

ب- إحالة بعدية **(Cataphora)**: وهي تعود على عنصر مذكور بعدها ولاحق عليها.

2- إحالة خارج النص **(Exophora)**: وتسمى المقامية **(Situational)**.

وسنوضح هذا التقسيم بالمخطط الآتي:**(3)**

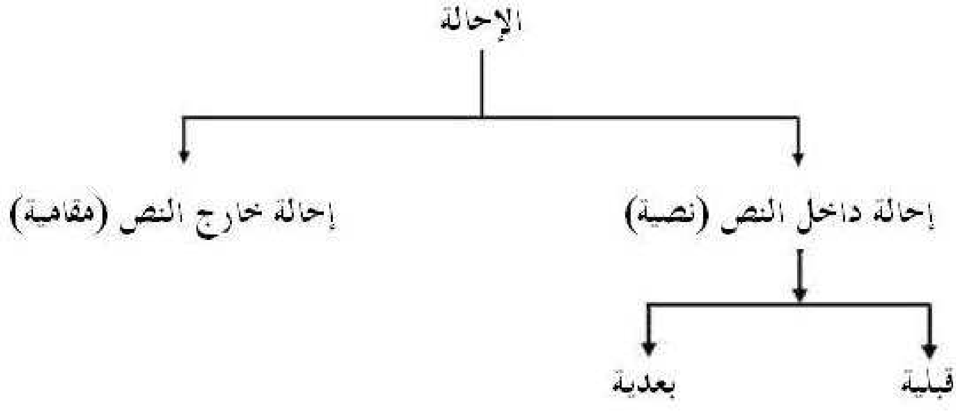

والإحالة لابد أن تجسد في عناصر إحالية، وهذه الأخيرة لا يتحدد معناها إلا بالعودة إلى ما تحيل عليه، وتتمثل هذه العناصر في الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات.

- إن أول سؤال يتبادر إلى الذهن، ويستوقفنا طرحه هو: هل للضمائر دور بارز في تحقيق التماسك النصي؟

---

(1) ينظر أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص**117**.

(2) ينظر م. ن. ص. ن.

(3) ينظر محمد خطاب: لسانيات النص، ص**17**، وأحمد عفيفي: نحو النص، ص**118**.

بداية نقول: تكتسب الضمائر أهميتها لأنها تنوب عن الأسماء والأفعال والجمل المتتالية، إلا أن هذه الأهمية تجاوز مستوى النيابة، لكونها تقوم بالربط بين أجزاء النص، من حيث الشكلُ والدِّلالةُ، داخل وخارج النص.(1)

والضمائر التي نقصدها ونعنيها في دراستنا ليست وقفا على ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب فحسب، بل تشمل كذلك ضمائر الإشارة والضمائر الموصولة، لأن هذه الأخيرة تؤدي وظيفة الإشارة والمرجعية والربط، تماما كما تفعل الضمائر.(2)

وسنحاول أن نقوم بجولة قصيرة يسيرة، نبرز من خلالها دور الضمير وأهميته (عند القدماء وعلماء النصية) في تحقيق التماسك النصي، في إشارات وجيزات.

• دور الضمير وأهميته عند علماء العربية:

تجلى هذا الأمر في كلامهم عن الإحالات الخارجية والداخلية، القبلية والبعدية منها، دون أن تقتصر أهميته على المرجعية فحسب، بل على المرجعية والربط بين الأجزاء الداخلية من جهة، وبين ما هو داخلي وخارجي من جهة أخرى.(3)

فكانت جهود البعض من علماء اللغة في الحديث عن قوة التماسك ولكن على مستوى الجملة. فقد أنتجوا مادة غزيرة تتعلق بالمرجعية القبلية والبعدية، وبمواضع وجوب وجود الروابط، وما يحتاج إلى رابط، وتحدثوا كذلك عن مواضع عودة الضمير فيها على متأخر، وهي ما يعرف بالمرجعية اللاحقة.(4)

---

(1) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج1، ص137.

(2) ينظر م. ن. ص138.

(3) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج1، ص141.

(4) ينظر م. ن. ص142-143.

فعلى الرغم من أن الأمر كان محصورا في الجملة، فإن ما يؤديه الضمير على مستوى الجملة، يمكن أن يؤدى على مستوى أكبر (النص)، فلا يقتصر دور الضمير في التعويض عن الاسم الظاهر، ولكن يتعداه ليكون رابطا يحقق التماسك النصي. فلقد عالجت تحليلات بعض المفسرين مرجعية الضمير في النص القرآني إلى السابق واللاحق، وإلى ما هو خارج النص، وقضايا كثيرة كانت توحي بالحاسة النصية لديهم. **(1)**

- ومن خلال هذه الإشارة الموجزة يتضح جليا أن القدماء كانت لهم إسهامات كبيرة تستحق التقدير والدراسة، وهي تقترب كثيرا من التحليلات النصية المعاصرة.

• دور الضمير وأهميته عند علماء النصية:

تعددت إسهامات علماء النص وتنوعت بخصوص أهمية الضمائر في تحقيق التماسك النصي شكلا ودلالة. ومن ثمة أكد النصيون المعاصرون أن الضمير على قدر من الأهمية والفعالية لكونه يحيل إلى عناصر سابقة عليه بمعنى سبق التلفظ بها في النص. وأن ما يميز الضمير (هو) مثلا هو تغيبه وعدم حضوره في النص، وكذا قدرته الكبيرة على الإسناد، وهذا ما يجعل الضمير يحظى بهذه الأهمية في دراسة التماسك النصي. **(2)**

ويذكر "**هاليداي**" و"**رقية حسن**" أمثلة كثيرة توضح كيف تحقق الضمائر التماسك النصي عن طريق مرجعية الضمير. **(3)**

---

(1) ينظر م. ن. ص**148–149**.

(2) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج**01**، ص**161**.

(3) Holliday and Hasan, cohesion in english, pp 52 – 53

وإذا لاحظنا هذا المثال:[1]

أ- محمد انتقل إلى مترل جديد

ب- مترل محمد جميل

ج- هذا المترل الجديد لمحمد

د- هو (محمد) بناه (المترل) منذ عام

نرى بأن الضمير (هو) في الجملة (د) عائد إلى مذكور (محمد) في الجمل الثلاثة السابقة. والهاء الملتصقة بالفعل (بناه) في الجملة الرابعة تعود إلى المترل المذكور في الجمل الثلاثة. فهذه المرجعية قد حققت تماسكا بين الجمل الأربع، كما أسهم الضميران في عدم تكرار الاسمين السابقين.

- وقد تعود الضمائر حسب **"هاليداي"** ورقية حسن إلى أكثر من فكرة سابقة، كما ترجع إلى جمل أو فقرات.[2] وهذا كثير في النص القرآني كما سيتضح، جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل **10-11**.

فنلاحظ أن (ذلك) أشارت إلى النعم المذكورة في كل الجمل التي ذكرت سابقا، وفي هذا يتحقق التماسك بين الجمل من خلال وجود (ذلك) التي تؤول بالرجوع إلى سابقاتها.

---

(1) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: السابق، ص163.

(2) Ibid, pp. 52 – 53

- ومن إسهامات المحدَثين في تحليلاتهم النصية هو تأكيدهم على دور السياق في معرفة مرجعية الضمير، خاصة إذا كانت مرجعيته غامضة أو خارجية (مقامية) ، لأننا في غياب سياق الحال نشعر بالعجز أمام تفسير وتأويل ما يقال.(1) والنموذج الأكثر دقة وتمثيلا لهذا النوع من الإحالة هو قوله تعالى في سورة الحاقة (الآيات من 38–52):

﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ، وَمَا لا تُبْصِرُونَ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ، وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ، تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ، وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ، وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾

- إن المتأمل لهذه الآيات يدرك بأن التحديد المحال إليه في الضمائر التي وردت، يكون من المقام أو السياق أو الخلفية المعرفية: (إنه) أي القرآن الكريم، وما (هو) أي القرآن نفسه، ولو تَقوَّلَ أي **محمد** ﷺ على قول بعض المفسرين، فما (منكم) أي الذين يعارضون...

- تلك الإحالات المقامية على الرغم من أنها لا تسهم في اتساق النص إسهاما مباشرا، إلا أنها تسهم في إبداع النص لكونها تربط اللغة بالسياق.(2)

مما سبق ندرك أهمية الضمائر في الإحالة، وفي الربط بين مكونات الجملة الواحدة، وبين مكونات النص، ومن ثم في تحقيق التماسك النصي.

2–2- التوابع:

بعد أن فرغنا من الحديث عن مرجعية الضمائر، نستعرض الآن وسيلة أخرى من وسائل التماسك النصي، ألا وهي التوابع. وسنحاول إبراز دورها في تحقيق التماسك.

---

(1) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج**01**، ص**165**.

(2) ينظر أحمد عفيفي: نحو النص، ص**121–122**.

ويظهر أن علماء النص اكتفوا منها بالعطف والإبدال، إلا أننا نجد "**إبراهيم الفقي**" يرى بأن النعت والتوكيد من أهم وسائل الربط تحقيقا للتماسك النصي.(1)

رأينا سابقا بأن مرجعية الضمائر تتجاوز الجملة الواحدة إلى عدد كبير من الجمل المكونة للنص، لتربط الضمائر في نسيج واحد يسمى النص. فهل يتعدى دور التوابع إلى عدد كبير من الجمل؟

- أهمية التوابع عند القدماء:

لقد توفرت التوابع في النص القرآني بشكل كبير، نجد منها على وجه الخصوص العطف، إذ لا نكاد نجد آية من آيات القرآن الكريم تخلو منه، فهو من الوسائل المنتشرة بكثرة والتي تنشئ العلاقات بين جمل النص، فنحن عندما نقرأ نصا من النصوص نلاحظ أن جل الجمل والفقرات تلتحم بسابقتها بحرف من حروف العطف.(2)

فقد حظي العطف باهتمام كبير من الدراسة عند علماء العربية قديما، فنحن لا نكاد نرى كتابا من كتب النحو العربي خاليا من الحديث عنه، كما نال نصيبه من علماء النص المعاصرين كذلك.

---

(1) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج**01**، ص**243**.

(2) ينظر د. شحدة فارع، د. جهاد حمدان، د. موسى عمايرة، د. محمد العناني: مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر، ط**03**، **2006**، عمان – الأردن، ص**202**.

- أما القدماء فيربطون العطف بقضية "الفصل والوصل" ويعرضونها على ثلاثة ظواهر:[1]

1- كمال الاتصال: لا يجوز العطف فيه، لأننا لا يمكن أن نعطف الشيء على نفسه.

2- كمال الانقطاع: وهو ما لا يجوز العطف فيه كذلك، لعدم وجود علاقة تبيح الربط.

3- التوسط بينهما: وهو وجه يجوز فيه العطف، لوجود نوع ارتباط وهو المشاكلة التي تبيح الربط بين المتعاطفين وذلك مثل التضاد.

- بُعَد (الفصل الواصل) من مظاهر اتساق النص وانسجامه[2]، غير أن الذي يعنينا في هذا المبحث هو الوصل، لأنه يتحقق بأدوات سطحية تربط بين السلاسل الجملية، باعتبار أن الجمل هي الوحدات التي ينبني عليها النص. وهو ما يخص موضوعنا في باب الاتساق، أما الفصل فموضوعه الانسجام، فالجمل فيه لا علاقة لها بالشكل، لأنها ترتبط وفق علاقات دلالية وتداولية.

- أما عن وظيفة العطف فهي وصل الكلام والإشراك بين المتعاطفين، فأدوات العطف تحقق التماسك بين الجمل، وتحدد ملامح النظام الذي يقوم عليه النص.[3]

---

(1) ينظر إبراهيم الفقي: السابق، ص**247-248**.

(2) د/ خُلود العموش: الخطاب القرآني (دراسة في العلاقة بين النص والسياق) ، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط**01** ، **1429**هـ - **2008** م، ص **68** .

(3) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج **01**، ص **251** .

وقد تجاوزت نظرة القدماء حدود الجملة بصفتها وحدة كبرى، فذكروا العلاقة بين العديد من الجمل ليقتربوا بذلك من تحليل النص، ومن تلك الدراسات الجديرة بالاهتمام ما فعله "**ابن الناظم**" إذ قسم العطف إلى معنوي ولفظي؛ فالأول اشتراك في اللفظ والمعنى، والثاني اشتراك في اللفظ دون المعنى. فكان هذا إدراكا منه لنوعي التماسك (الشكلي والدلالي) اللذين سعى لتحقيقهما علماءُ النص.(1)

ومما سلف يتَّضح جليا كيف أدرك علماؤنا العرب أهمية العطف في تحقيق التماسك على مستوى الجملة وعلى مستوى أكبر من ذلك وهو النص. لنعرج بعد هذا لنكتشف كيف كان موقف النصيين المعاصرين من حروف العطف ودورها في تحقيق التماسك؟

• أهمية التوابع عند النصيين:

لقد أولى علماء النص قضية دور العطف في تحقيق تماسك النص اهتماما كبيرا. فقد ورد العطف ضمن الأدوات التي تحقق الاتساق في كتاب **(Cohesion in English)** لمؤلفيه "**هاليداي**" و"**رقية حسن**". ونظرا لأهميته في تحقيق التماسك فقد جعل "**كريستال**" العطف أول وسيلة من وسائل الاتساق النصي.(2)

- أما عن الوظائف التي يؤديها العطف فتتمثل في الربط إلى جانب الاختزال والاختصار، وهما تمثلان أهم وظائف هذه الأدوات. أما فيما يخص باقي الأدوات فلكل منها دلالة معينة تتحدد من التراكيب التي ترد فيها.(3)

---

(1) ينظر م. ن. ص **252 – 253** .

(2) إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج **01** / **257** .

(3) ينظر (تفاصيل معنى هذه الحروف في ضوء التماسك) د. محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، **2003**، ص **158 – 159** .

إن المتأمل لأدوات العطف التي وردت في النص القرآني الكريم يدرك مدى فعاليتها في جعل هذا النص يتسم بالإيجاز والتماسك، لأن استخدام أداة معينة يُغني عن كلمات وجمل كثيرة قد حُذِفت، كما أنه كلما زاد عدد هذه الأدوات، ازدادت قوة التماسك بين مكونات النص القرآني.(1)

- ونظرا لأن حروف العطف تكتسب دلالتها عن طريق السياق التي ترد فيه هذه الحروف، كان طبيعيا أن توجد علاقة بين المتعاطفين، وقد صنف العلماء هذه العلاقات إلى أربعة أنماط:(2)

1- الوصل الإضافي: ويتم بواسطة الأداتين «و» و «أو» و «بالإضافة إلى ذلك» و «كذلك»...

2- الوصل العكسي: الذي يعني «على عكس ما متوقع» ويتم بواسطة أدوات مثل «لكن» و «إلا أن» و «مع ذلك» و «على الرغم من هذا»...

3- الوصل السلبي: يمكّننا من إدراك العلاقات المنطقية كالسبب والنتيجة، والشرط والجواب، ويعبر عنه بعناصر مثل «هكذا» و «بناء على ذلك» و «نتيجة ذلك».

4- الوصل الزمني: كآخر نوع يعبِّر عن علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيا، ويتم بعناصر مثل «بعد ذلك»، «ف»، «ثم»...

* أما النعت(3): باعتباره واحدا من التوابع، فقد تحدث علماؤنا عن قوة التماسك بين النعت والمنعوت، وقالوا بأنهما كالاسم الواحد؛ فالتابع دال على معنى في متبوعه، ومتعلق به، ومكمِّل له. والنعت لم يذكره النصيون من بين وسائل التماسك النصي مع أنه يحقق الربط بين الكلمات والجمل كما أشرنا.

---

(1) ينظر إبراهيم الفقي: السابق، ص 258 .

(2) ينظر حول هذه الأنماط: محمد خطابي: لسانيات النص، ص 23 – 24 ، وبراون ويول: تحليل الخطاب، ص 229 .

(3) ينظر م. ن. ص 265 – 266 .

* والتوكيد[1]: مع عدم ذكر النصيين له هو الآخر، فإنه لا يقل أهمية في تحقيق التماسك بين أجزاء النص. ويؤكد علماؤنا بأنه تكرير باللفظ وبالمعنى، وكما هو معلوم التكريرُ من أنواع التماسك.

* أما الإبدال[2]: فقد حظي بالعناية من قبل القدماء والمحدثين على حد سواء، فقد تناوله القدماء بوصفه تابعا من التوابع، والنصيون تناولوه باعتباره وسيلة من وسائل التماسك النصي، مع الإشارة إلى الاختلاف بين الإبدال عند النصيين وبين البدَل عند النحويين العرب. لكن هذا لا يمثل مانعا بأن نعترف بأن البدل في النحو العربي يحقق التماسك وإن كان على مستوى الجملة الواحدة.

تتحد أهمية الإبدال في تحقيق التماسك من خلال العلاقة بين المستبدل والمستبدل منه، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق وعنصر لاحق عليه في النص. فهذه العلاقة تمثل الاستمرارية والامتداد، ومن هنا يتحقق التماسك.

• وفي الأخير نخلص إلى نتيجة دقيقة هي:

- يرتبط الوصل بالاتساق، ويرتبط الفصل بالانسجام.
- تحقق التوابع الاتساق النصي.
- يمثل التابع امتدادا نصيا للمتبوع[3] خصوصا إذا كان التابع جملة[4].

---

(1) نفسه ، ص 266 .

(2) نفسه ، ص 267 – 268

(3) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي ، ج 01 ، ص 243 .

(4) ينظر م. ن. ص 265 – 266.

2- 3- التكرار:

يعتبر التكرار أو التكرير ظاهرة لغوية اتسمت بها اللغات الإنسانية، واللغة العربية بخاصة. وقد تعددت الدراسات حوله قديما وحديثا، غير أن الدراسات اللغوية الحديثة أسهمت بقسط كبير في مناقشة علاقة التكرار بالتماسك النصي.

- **المعنى اللغوي والاصطلاحي:**

بالوقوف على المعاني اللغوية لمصطلح "التكرار" يتبين لنا أن من معانيه(1) ما يلي:

1- الرجوع؛ والتكرار فيه إحالة قبلية تتحقق بالرجوع إلى سابق في النص بتكراره مرة أخرى.

2- البعث والتجديد؛ وكأن (المتكلم أو الكاتب) يحاول أن يكرر بعض ما قاله ببعثه من جديد حتى يُذكِّر (المستمع أو القارئ) به بعد أن كاد يُنسى.

3- الضّمُّ؛ وفي هذا المعنى تحقيق للتماسك.

* نلاحظ أن هذه المعاني تحمل بعضا من معاني التماسك.

- وجاء في "شرح الكافية" بأن التكرير هو ضم الشيء إلى مثله في اللفظ بحيث يكون هو نفسه في الدلالة لتحقيق التأكيد والتقرير، فالشيء إذا تكرر تقرر.(2)

- وعند الزركشي هو الإعادة والترديد، و"تعلق بعضه ببعض"(3) جعله من أساليب الفصاحة.

- ويجعله **"كريستال"** من عوامل التماسك النصي، فهو يرى بأنه تعبير يتكرر في الكل والجزء.(4)

---

(1) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي ، ج02 ، ص 18 .

(2) ينظر م. ن. ص. ن.

(3) ينظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 03، 1400هـ – 1980 م، بيروت، ج 03 ، ص 09 .

(4) ينظر إبراهيم الفقي: السابق، ص 19 .

- ويسميه "**محمد خطابي**"[1] «الاتساق المعجمي»، وترجمه "**تمام حسّان**"[2] بـــ «إعادة اللفظ».

- والتعريف الذي نراه على قدر كبير من الدقة والوضوح، هو ما أورده "**صبحي إبراهيم الفقي**" إذ يرى بأن التكرار هو إعادة أو استرجاع للألفاظ أو الجمل أو الفقرات، ويتم ذلك باستحضار اللفظ نفسه، أو بمرادف له، بهدف تحقيق التماسك النصي بين أجزاء النص[3].

ويتحقق التكرار على مستويات متعددة كتكرار الحروف، والكلمات، والعبارات، والجمل، والفقرات، والقصص كما هو شائع في النص القرآني.[4]

- أما عن وظيفة التكرار في ضوء الدراسات النصية المعاصرة فيذكر العلماء بأنه يدعِّم التماسك النصي[5]، ويحقق العلاقات المتبادلة بين العناصر التي تشكل النص.[6]

ويرى "**د. صلاح فضل**" حتى يقوم التكرار بهذه الوظيفة ينبغي أن يكون اللفظ المكرر شائعا وواردا بنسبة عالية في النص، وأنّ رصْدَه يساعد على حل رموز النص، وإدراك الكيفية التي يؤدي بها دلالته.[7]

- وهكذا نلمح كيف تغيرت نظرة علماء النص المعاصرين للتكرار عن وجهة نظر القدامى له.

---

(1) ينظر "لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب"، ص 24 .

(2) ينظر حنان مباركي: انسجام النص الكلامي عند الجاحظ، دراسة في رسائل الجاحظ الكلامية، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات، شعبة علوم اللسان العربي، إشراف أ.د / بلقاسم بلعرج، جامعة قالمة، 2007 – 2008 ، ص 154 .

(3) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج02 ، ص 20 .

(4) نفسه، ص 17.

(5) Robert de Beaugrande and Wolfgang Dressler (1981) : Introduction to text linguistics. Longman, London. P 54.

(6) ينظر: . Ibid, p .59 -

(7) ينظر إبراهيم الفقي: السابق، ص 22 .

2-4- الحذف:

يعتبر الحذف من بين أهم الظواهر التي عالجتها البحوث اللغوية قديما وحديثا، غير أن هذه القضية ثابتة في اللغة العربي بشكل بارز وواضح، لما جُبِل عليه اللسان العربي من ميْل إلى الإيجاز، حيث يعمَد المتكلمون إلى حذف وإسقاط بعض العناصر المتكررة أثناء الكلام.(1)

• مفهوم الحذف وأنواعه:

من أهم المعاني اللغوية التي وردت في المعاجم العربية لمادة (ح ذ ف) نجد: القطع والإسقاط.(2)

أما عن المعنى الاصطلاحي للحذف:

فقد ذكره "**كريستال**"(3) تحت مصطلح **(Ellipsis)** ويرى بأنه حذف عنصر من التركيب الثاني، قد دَلَّ عليه دليل في التركيب الأول.

- ويرى "**دي بوجراند**"(4) بأنه استبعاد للعبارات المثبتة على السطح، والتي يمكن لمحتواها الدلالي أن يوقظ الذهن.

- وعليه تكون الجمل التي حُذِفت واستُبْعِدت أساسا رابطا بين عناصر النص من خلال المحتوى الدلالي.

---

(1) ينظر د/ طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999 ، ص 6 – 9 .

(2) ينظر ابن منظور: لسان العرب، مادة (ح ذ ف)، 09 / 39 .

(3) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج 02 / 191 .

(4) ينظر أحمد عفيفي: نحوُ النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 125 .

- ويعد الحذف من بين العوامل المحققة للتمـــاسك النصي، وهذا ما نجده عند البــاحثين "**هاليدي**" و"**رقية حسن**" إذا أفردا له مساحة شـــاسعة من مؤلفهما **(Cohesion in English)**[(1)].

- أما عن أنماط الحذف[(2)] فتتلخص في حذف الحركة أو الصوت، ثم حذف الحرف، ثم الكلمة، ثم العبارة، ثم الجملة، ثم أكثر من جملة. وهي أنماط لم تخرج عنها تقسيمات علماء العربية وكذلك علماء اللغة المحدثين.

• علاقة الحذف بالإبدال (الاستبدال) والمرجعية:

- باعتبار الحذف وسيلة من وسائل الاتساق، فهو لا يختلف عن الاستبدال، وهما متشابهان، غير أن الحذف استبدال من الصفر ويسميه "**هاليدي**" و"**رقية حسن**" **(Substitution by Zero)**[(3)]، لأن الحذف لا يُعرف له أثر إلا عن طريق الدلالة فلا يحل محله شيء، أما الاستبدال فَيَتْرُكُ أثرا يستهدي به المتلقي يتمثل في كلمة من الكلمات.[(4)]

- أما عن العلاقة بين الحذف والمرجعية، فهي من الأمور التي تؤكد أهمية الحذف ووظيفته في تحقيق التماسك النصي، نظرا لتوفر دليل أو قرينة مصاحبة تسهم في تقدير المحذوف.[(5)]

---

(1) Holliday and Hasan, Cohesion in english, p. 4, p.13, p.226.

(2) ينظر: علم اللغة النصي، ج 02 / 193 .

(3) Ibid, p. 142.

(4) ينظر أحمد عفيفي: نحوُ النص، ص 126.

(5) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج 02 / 201 .

وعليه فمرجعية الحذف قد تكون داخلية وغالبا ما تكون على مستوى أكثر من جملة، ففي هذه الحالة تحقق التماسك النصي، كما يمكن أن تكون خارجية وهنا نستعين بسياق الحال من أجل تفسير المحذوف، وفي هذه الحالة لا تسهم المرجعية في تحقيق التماسك النصي.(1)

- **مهمة المتلقي:(2)**

يتجه النص بصفة عامة إلى المتلقي، فهو مَنْ يبعث فيه روحا جديدة من خلال مشاركته في العملية الإبداعية، إذ هو الذي يحاول فك شفرة ورموز ذلك النص، ويستخرج كل ما هو كامن فيه من أفكار وجماليات، معتمدا في ذلك على ثقافته وخلفياته المعرفية بذلك النص وسياقاته، كما يحاول أن يملأ الفراغات، ويسد كل الفجوات الموجودة بين عناصر النص، من ذلك ما يتّصل بحذف العديد من عناصر النص، وهنا تظهر وظيفة المتلقي ويبرز دوره.

---

(1) ينظر: علم اللغة النصي، ج **02 / 203** .

(2) نفسه، ص **213** .

ج- مفاهيم السياق في الدراسات الحديثة:

يستمد هذا المفهوم أهميته من أن دراسة الظاهرة اللغوية تقتضي تجاوز حدود الإطار اللغوي المحض إلى الإطار الاجتماعي الذي تستعمل اللغة ضمنه.

ذَا أخذ مصطلح السياق بُعدا هاما في اللسانيات التداولية، وهذا ناتج عن قناعات الباحثين التي تُؤَكِّد ضرورة وقوع كل خطاب في الدائرة الاجتماعية، ذلك أن الإنسان لا يتواصل مع الآخرين في الفراغ، وإنما يتخاطب مع غيره ضمن مواقف اجتماعية مختلفة تحدد الأسلوب الذي عليه اعتماده، ونوعية الكلمات التي ينبغي أن يختارها وفق ما يقتضيه المقام.(1)

وبناءً عليه أولى اللغويون اهتماما متزايدا منذ بداية السبعينات لدور السياق في فهم النص، ومن أهم المدارس التي اهتمت بالسياق مدرسة "**فيرث**" **(J. Firth)**، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الاهتمام بالسياق ودوره في توضيح المعنى لم يكن وليد المدارس الحديثة فحسب، بل اهتم به علماؤنا العرب بداية بـــ: **سيبويه**، و**المبرِّد**، و**ابن جني**، و**الجاحظ** و**الجرجاني** وغيره.. وأصبح للسياق نظرية "النظرية السياقية" تمثل دِعامة في علم الدلالة، ويصرح "**فيرث**" "بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة ... فمعظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"(2)

- وقبل الحديث عن تحديدات بعض اللغويين له، نود طرح سؤالٍ:
- ما هو السياق؟ وهل لهذا السؤال إجابة مباشرة؟

---

(1) ينظر محمد الأخضر الصبيحي: المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي (شعبة العلوم الإنسانية)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في اللسانيات، جامعة قسنطينة، **2004 – 2005**، ص **108 – 109** .

(2) د/ أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، مصر الطبعة الخامسة، **1998**م ، ص **68** .

إننا حقيقة في مواجهة سؤال محير، وكما يرى "**جون ليونز**" لا يوجد جواب بسيط يمكن تقديمه عن السياق، لكن هناك حقيقة تؤكد ضرورة الربط بين العلوم المختلفة، وهذه العلوم يمكن أن تساعد سياقيا في تحديد شكل النص، وفي فهم المتلقي له[(1)].

- ويعرّف "**فان ديك**" السياق أو المقام من منظور مكوناته، فيرى بأن هناك عناصر تدخل في السياق يمكنها تحديد بنية المنطوق اللغوي، مثل مستخدمي اللغة (المتكلم والسامع)، والحدث اللغوي المُنجز، والنظام اللغوي المتعارف عليه، ومواقع مستخدمي اللغة فيما بينهم، والالتزامات والعادات[(2)]...

وإذا أردنا أن نعلق على هذا التعريف، فإننا نقول على الرغم من حداثته فإنه لا يضيف جديدا على تعريفات اللغويين القدماء الذين حددوا عناصر المقام في المتكلم، والمخاطب، والمشاركين، وموضوع الكلام، وقناة التبليغ، والقانون **(Le Code)**، ونوع الرسالة، والحدث، والمقاصد[(3)].

- يتضح من التعريفات السابقة أنها تلتقي كلها في المكونات الأساسية، ولا تختلف إلا في الجزئيات.

* وعليه نستنتج بأن السياق يشمل كل الظروف والملابسات التي تتحقق في ضوئها عملية التواصل، وأن هذه الظروف لها تأثير فاعل على السلوك اللغوي لدى المتخاطبين، وبالتالي تسهم بشكل كبير في تحديد شكل الخطاب ومضمونه.

---

(1) ينظر أحمد عفيفي: نحو النص، ص **49** .

(2) ينظر محمد الأخضر الصبيحي: المرجع السابق، ص **110** .

(3) م. ن. ص **10** .

أما عن أنواع السياق فيقترح (K. Ammer)[1] أربعة أقسام للسياق تشمل:

1- السياق اللغوي:[2]

هو خلاصة استعمال الكلمة متجاورة مع كلمات أخرى داخل نظام الجملة، يوضح هذا السياق الكثير من العلاقات الدلالية خاصة إذا استُخدم كمقياس لبيان الترادف أو الاشتراك، ونحو ذلك. كما أن المعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى له حدود واضحة غير قابلة للتعدد.

2- السياق العاطفي:

فهو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية، ودلالتها العاطفية. وكما يرى "**أولمان**" فإن هذا يتضح في مجموعة من الكلمات التي تشحن عادة بمضمونات عاطفية.[3]

كما يحدد السياق العاطفي درجة القوة والضعف في الانفعال مما يتطلب التأكيد أو المبالغة أو الاعتدال.[4]

3- سياق المواقف:

ويعني في اللغويات الحديثة البيئة غير اللغوية التي تستخدم فيها اللغة. ويعتبر "**مالينوفسكي**" أول من استعمل هذا المصطلح للإشارة إلى الأحداث والمواقف التي ينتج فيها النص.[5]

---

(1) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص **69** .

(2) ينظر د/ أحمد محمد قدور: مبادء اللسانيات، دار الفكر بدمشق، **1996** ، ص **294 – 295** .

(3) نفسه، ص **296 – 297** .

(4) ينظر أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص **70 – 71**.

(5) ينظر د/ حسام أحمد فرج: نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري) ، القاهرة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، **1428 – 2007** م، ص **24 – 25** .

وجدير بالذكر أن اللغويين العرب القدامى أشاروا إلى هذا السياق، وعبروا عنه بمصطلح المقام، حتى غَدَت عبارة «لكل مقام مقال» مثَلاً مشهورا يتداول إلى يومنا هذا.

4- السياق الثقافي:[1]

يرى "**مالينوفسكي**" أنه من الضروري أن نعطي اهتماما إلى الخلفية الثقافية للنص، وإلى التاريخ الثقافي الذي يقف وراء المشاركين في عملية التواصل.

والحديث عن السياق الثقافي للنص يعني السمات الثقافية المتصلة بزمن الكتابة، والتي تسيطر على كاتب النص، من أعراف أدبية ولغوية.

3- المناسبة في الدراسات القرآنية وعلاقتها بالدراسات الحديثة:

إن ما يعنينا من الحديث عن المناسبة في هذا الباب، ليس الأحداث التي تلازم نزول آيات القرآن الكريم، بل نقصد بالمناسبة هنا مناسبة ترتيب السور القرآنية بهذه الطريقة، وكذلك كيفية ترتيب آياته بهذه الصورة المحكمة من التماسك والتناسب.

- مفهوم المناسبة وفائدتها:

المناسبة لغة المُشَاكَلَة، كذا قال صاحب لسان العرب، وهو ما أورده أيضا صاحب القاموس المحيط.[2]

ويعرفها **الزركشي** بقوله:[3] "والمناسبة في اللغة المُقَارَبَة، وفلان يناسب فلانا، أي يقرُبُ منه ويشاكله... وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى ما رابط بينهما"

---

(1) م. ن. ص **29 – 30** .

(2) د/ مصطفى شعبان عبد الحميد: المناسبة في القرآن؛ دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي، ط**01**، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، **2007**، ص **36** .

(3) البرهان في علوم القرآن، ج**1** / **61** .

هذا فيما يخص المعنى اللغوي، وهو ليس ببعيد عن معناها الاصطلاحي، فالمناسبة تعني المقاربة أو المشاكلة، أو الارتباط بين الألفاظ من حيث البنيةُ أو الدلالة، أو بين المعاني الكلية، أو بين الألفاظ والسياقات التي وردت فيها، وبعبارة أخرى هي وضع الكلام في موضع لائق به حتى يكون في صورة حسنة وبليغة.(1)

أما عن الفائدة التي تحققها المناسبة، فيذكر **الزركشي**(2) "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض؛ فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المُحكَم، المتلائم الأجزاء."

- لقد بحث علماؤنا في الاتساق الداخلي للنص القرآني من خلال حديثهم عن قضية "المناسبة أو التناسب" ويعنون بها الارتباط الحاصل بين الجملة والأخرى في الآية الواحدة، أو بين الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة.(3)

• أنواع المناسبة في القرآن الكريم:

للمناسبة أنواع، فمنها ما يرتبط بالدلالة التي تحصل من تأليف الكلام على صعيد السور والآيات، ومنها ما يتعلق بالألفاظ من حيث شكلها أو معناها داخل السياق.

- والمناسبة المتعلقة بالدلالة الحاصلة من التأليف تنقسم بدورها إلى مناسبة بين السور ومناسبة بين الآيات(4).

---

(1) ينظر د/ مصطفى شعبان عبد الحميد: المرجع السابق، ص 36 .

(2) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج01 /62 .

(3) ينظر د/ خلود العموش: الخطاب القرآني (دراسة بين النص والسياق)، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط01، 1429 هـ - 2008م، ص 106 – 107.

(4) ينظر د/ مصطفى شعبان عبد الحميد: المناسبة في القرآن، ص 37 .

- **المناسبة بين السور:**

وقد ألف فيها علماء كثيرون، "**كالبقاعي**" في (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، و"**السيوطي**" في كتابه (أسرار ترتيب القرآن)، وهي كتب تضمنت الحديث عن المناسبة وأنواعها، كالتي تكون بين السور، أو بين الآيات، أو بين الألفاظ والسياق.

- **المناسبة بين الآيات:**

اهتم بها بعض المفسرين "**كأبي حيان الأندلسي**" في (البحر المحيط)، وضح فيه هذه المناسبة، وأظهر مناسبة الآية ما قبلها.[(1)]

هذه إشارات وجيزات إلى المناسبة المتعلقة بالسور والآيات، على مستوى النص، وتظهر من خلال جهود المفسرين من البحث عن العلاقة الدلالية بين عناصر النص القرآني سوره وآياته. وهذا مشابه لما يدعو إليه علماء النص المحدثون من النظر إلى النص نظرة شمولية كلية تتناول كل أجزائه وعناصره، وعلاقة بعضها ببعض على المستويين الشكلي والدلالي.[(2)]

- والمُلفت للنظر في عرض هذه الأنواع، هو ما لدى علمائنا القدامى من حسٍّ نصي، ويظهر هذا في تجاوز نظرهم إلى حدود النص. فلم يقتصر تحليلهم على الكلمة الواحدة أو الجملة أو الآية، بل ما يسبقها من آيات، وما العلاقة بينها، بل تعداه إلى السور التي تكون النص الأكبر (القرآن الكريم) فإذا كان النصيون يرون إمكانية أن يُعد الكتاب الكامل نصا، فإن "**ابن الأعرابي**" يذكر أن القرآن الكريم لشدة تماسكه كالكلمة الواحدة.[(3)]

---

(1) نفسه، ص 38 .

(2) م. ن. ص 39.

(3) ينظر د/ صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج02 ، ص 100 – 101

بعد هذا العرض الموجز الهادف إلى تغذية وتطعيم فكرة المناسبة، فقد أكد علماء التفسير وعلوم القرآن أن المناسبة تبرز وظيفتها في تحقيقها للترابط، ومن ثَمَّ للتماسك بصورة تقترب كثيرا من الدراسات النصية المعاصرة.

4- الانسجام – Cohérence:

إذا كانت مظاهر الاتساق أو التماسك تعلق بالبنية السطحية الصورية التي تؤلف خطية النص على المستوى الأفقي، فإن مظاهر الانسجام ترتبط بالبنية العميقة التحتية للنص، ممثلة في مستواه العمودي الذي يخترق سطح النص إلى أعماقه.(1)

يبدو الانسجام أعم من الاتساق وأعمق منه، حيث يتوجه اهتمام المتلقي صوب العلاقات الخفية والمغيبة التي تنظم النص وتولده،(2) خاصة في النصوص الأدبية إذ يرى بعض المنظّرين أن انسجامها لا يوجد في النص، وإنما هو شيء يصنعه المتلقي بفهمه وتأويله.

وقد أولى علماء النص عناية قصوى بالانسجام فيذكرون أنه خاصية دلالية للخطاب تقوم على فهم كل جملة مكونة للنص وربطها بما يفهم من الجمل الأخرى.(3)

وبما أن الانسجام يتعلق بالارتباط الدلالي والتداولي، فهذا يجرنا إلى الحديث عن السياق والمعرفة بالعالم؛ إذ يوفر السياق جملة من المعطيات تساعد على تأويل الخطاب، وهي معطيات لا توفرها الخصائص النحوية والمعجمية للصيغة اللغوية، أما عن المعرفة الخلفية (المعرفة بالعالم) فتعني أن القارئ حين يواجه خطابا لا يواجهه وهو خاوي الذهن وإنما يستعين بتجاربه السابقة، وخبراته الحياتية.

---

(1) ينظر د/ يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية في النحو العربي، ص 426 – 427 .

(2) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 06 .

(3) ينظر د/ صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 340 .

5- مظاهر الانسجام:

يبدو أن مظاهر الانسجام لدى منظري نحو النص لا تتجاوز الإطار العام للسياق، فهو مقَوِّم عام تتشظَّى عنه خاصيات أو مقومات أخص منه وهي:(1)

- المقامية (الموقفية) - **Situationality**
- الإعلامية أو الإخبارية - **Informativity**
- القصد أو القصدية - **Intentionnality**
- التناص - **Intertextuality**
- القبول أو المقبولية - **Acceptability**

5-1- المقامية:(2)

وترتبط بالموقف أو المقام الذي أنشئ من أجله النص، وتتمثل في العوامل التي تجعل النص مرتبطا بما يمكن استرجاعه من خلاله.

5-2- القصدية:

وتعني التعبير عن هدف النص،(3) فلكل ناص قصد وغاية. وهي معنى أوسع تشير إلى جميع الطرق التي يلجأ إليها المؤلف لاستغلال نصه من أجل تحقيق مقاصده.(4) فالقصد من إنتاج النص مع هذا التعريف يحمل غاية براجماتية، وهو تعريف تعتمد عليه الدراسة لأنه يراعي جوانب النظرية النصية.(5)

---

(1) ينظر د/ يحي بعيطيش: المرجع السابق، ص 426 – 427 .

(2) ينظر أحمد عفيفي: نحو النص، ص 84 – 85 .

(3) ينظر د/ سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ص 146.

(4) Robert de Beaugrande and Dressler: Introduction to text linguistics, pp. 113, 116.

(5) ينظر د/ حسام أحمد فرج: نظرية علم النص، ص 47 – 48 .

5-3- القبول (المقبولية):

ترتبط المقبولية بالمتلقي ومدى حكمه على النص من جانب أنه متسق منسجم ذو غاية. والمقبولية بالمعنى الواسع رغبة نشطة للمشاركة في العملية الإنتاجية للنص،(1) حيث يحدث تفاعل بين مقصدية المنتج ورغبة المتلقي في المعرفة، وصياغة مفاهيم مشتركة بينهما.(2)

5-4- الإعلامية أو الإخبارية:

يمكن إعطاء تعريف واسع لمصطلح الإعلامية يقوم على ثلاث مفاهيم:

أولا: تمثل الرغبة في الإخبار غرضا أوليا لدى الكاتب. فكل نص يقدم خبرا ما، والنصوص كلها تتقاطع في هذه الوظيفة.(3)

ثانيا: يشير المفهوم الثاني إلى الجدة في عرض المعلومات،(4) هذه الجدة يحددها المتلقي بمعيار عدم التوقع.(5)

ثالثا: ينطلق المفهوم الثالث من فكرة الدعاية لشخص أو فكرة ما.(6)

5-5- التناص:

تعددت تعريفات "التناص" بين النقاد واللغويين، غير أنها كلها تبرز هذا التفاعل، والتعالق، والالتقاء، والتداخل بين نص حاضر ونصوص أخرى مغيبة سبقته استفاد منها هذا النص. فالتناص أن يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى.(7)

---

(1) Robert de Beaugrande and DresslerM Ibid, p . 132.

(2) ينظر د/ حسام أحمد فرج: السابق، ص **52** .

(3) نفسه، ص **66** .

(4) Robert de Beaugrande and Dressler : Ibid, p. 8.

(5) Ibid, p. 139.

(6) حسام أحمد فرج: نظرية علم النص، ص **68** .

(7) د/ صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص **295** .

وهو "ترحال للنصوص وتداخل نصي في فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى". (1)

ويكاد يتفق أغلب الباحثين على أن التناص يعني استحضار نص ما لنص آخر، ويعني كذلك تلك العناصر الموجودة في نص ما وتربطه بنصوص أخرى. والنصوص بذلك تتشكل من نصوص أخرى وتنبني من مضامينها.(2)

* أما عن علاقة هذه المقومات أو الخاصيات بنحو النص، فإننا نجد بعضها يتصل بالأسلوبية (التناص)، وبعضها بالبلاغة (المقامية والإعلامية)، وبعضها بمنتج النص ومتلقيه (القصد والقبول). هـذا يسـوقنا إلى أن نحو النص نحوٌ هجـين حسب "**دي بوجراند**" يتكون من الفروع اللغوية والأدبية، والنقدية، والنفسية...الخ.(3)

في ضوء هذا الفصل يتبين لنا أن بنية النص مهما طالت أو قصرت تتميز بجملة من المقومات أو المظاهر، تعود بعض هذه المقومات إلى اتساق النص أو تماسك نسيجه الداخلي التركيبي أو البنيوي، ومقومات أو خصائص سياقية مقامية تعود إلى انسجام ذلك النسيج مع مقاصده وأغراضه التبليغية.

---

(5) جوليا كريستيفا علم النص: ت/فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، المغرب، دار توبقال للنشر، ط 02، 1997 .

(6) حسام أحمد فرج: السابق، ص194.

(7) ينظر أحمد عفيفي: نحو النص، ص77.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

"الإطار الإجرائي للدراسة"

التحليل النصي لسورة الكهف

التحليل النصي لسورة الكهف:

1- التحليل النصي لسورة الكهف من خلال الضمائر

2- التحليل النصي لسورة الكهف من خلال التوابع

3- التحليل النصي لسورة الكهف من خلال التكرار

4- التحليل النصي لسورة الكهف من خلال الحذف

بعد أن فرغنا من الحديث عن جهود بعض القدماء والمحدثين، وإسهاماتهم الجديرة بالإشادة في تقديم تحليل للنصوص، نحاول الآن أن نتعرض بالتحليل النصي المعاصر لسورة من السور المكية هي سورة "الكهف"، يراد منه تجلي المادة النظرية أو المعطى النظري بصورة تؤكد الفهم والاستيعاب.

وتحليلنا سوف يعتمد في هذا الفصل على الضمائر بأنواعها ومنها الضمائر الشخصية والإشارية والموصولة، وعلى التوابع، والتكرار، والحذف، وذلك مع الاستعانة بالجداول الإحصائية كلما لزم الأمر ذلك، إذ إن تلك الإحصائيات تحمل دلالات تسهم في التحليل النصي.

1- التحليل النصي لسورة الكهف من خلال الضمائر:

"سورة الكهف"

تختلف حركية الضمائر باختلاف الموضوعات أو القصص التي وردت في السورة، فقد اشتملت على قصص أهل الكهف من الآية **09** إلى الآية **26**، وتعقيب عليها من **27** إلى **31**، ثم قصة الرجلين من **32** إلى **44**، وتعقيب عليها من **45** إلى **49**، ثم تأتي الإشارة إلى قصة السجود لآدم في الآية **50**، والتعليق عليها من **51** إلى **59**، ثم تليها قصة موسى مع فتاه والخضر، من **60** إلى **82**، وأخيرا قصة ذي القرنين من **83** إلى **99** ثم التعليق عليها من **100** إلى **110**.

إن ما يربط بين هذه الموضوعات - على تنوعها - من حيث دلالتُها هو التأكيد على نُصرة الخير على الشر، أو الجانب المؤمن على غير المؤمن، ومن ثم فالقضية واحدة والقصص مختلفة.

- تتحدد الوحدة الدلالية الأولى من الآية **01** إلى **08**، وفيها حديث عن حمد الله على إنزاله الكتاب، وعن صفات الكتاب، وعن وظائفه، وعن موقف الرسول صلى الله

عليه وسلم من تبليغ الدعوة. فالضمائر التي أحالت إلى الله تعالى هي: الذي – أنزل – عبده – يجعل – لدنه – به – إنا – جعلنا – لنبلُوَّهم – إنَّا.(1)

وقد ورد لفظ الجلالة (الله) في أول الآية الأولى صراحة في قوله تعالى: ﴿الحَمْدُ للّه الذي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ ولَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عِوَجاً﴾ الآية **01**. ونلاحظ أن المرجعية في هذه الآية هي مرجعية داخلية سابقة، لأن الضمائر ذكرت متأخرة عن المحال إليه.

وإذا انتقلنا إلى العنصر الثاني من الآية نفسها نجد لفظ "عبده" وهي صفة من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم، وردت بصراحة وذكرت داخل النص قبل الضمائر التي تحيل إليه.(2)

ثم جاءت الضمائر في الألفاظ الآتية: لينذر – ويبشر – وينذر – فلعلك – نفسك.

ولهذا فالمرجعية داخلية سابقة.

- أما العنصر الثالث فهو لفظ "الكتاب"، وله إحالات في "له، وهذا"، والإحالة هنا داخلية سابقة، تشبه الإحالة للعنصرين السابقين.

والإحالة إلى هذه العناصر لا تقف عند حدود هذه الوحدة فحسب، بل تتجاوزها، فإذا تتبّعنا سياق السورة وجدنا الضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة مستمرة على مدار السورة بأكملها، وذلك في خمسين آية بالضمائر، غير الأسماء الظاهرة.

فكل هذه الإحالات تحيل إلى لفظ "الله" تعالى المذكور صراحة في الآية الأولى. وعليه فمرجعية الضمائر المحيلة عليه داخلية سابقة.

---

(1) ينظر د. صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج01/199-200.

(2) نفسه، ص.200.

إن شيوع الضمائر التي تحيل إلى مرجوع واحد يؤكد حقيقة هامة، تتمثل في وظيفة الضمائر في تحقيق التماسك النصي بين آيات السورة، وبين الوحدات الدلالية، كما يؤكد الاستمرارية، وعدم استقلالية الوحدات عن بعضها. **(1)**

- أما العنصر الثاني ذِكْرُ رسول الله ﷺ فقد ذُكِرَ في الآية الأولى، وأحيل إليه في خمس وعشرين آية من السورة موزعة من الآية **01** إلى الآية **106**.

وهو ما يؤكد الأمور التي أكدها انتشار الإحالات التي تحيل إلى لفظ الجلالة.

- أما الثالث "الكتاب" فقد ورد بلفظه في الآيات **1**، **27**، **56**، **105**، **106**، **109**، وبالضمائر في **1**، **6**، **54**. **(2)**

من خلال حديثنا عن الإحالة إلى العناصر الثلاثة التي ذكرت في الآية الأولى (مفتاح السورة)، وإسهامها على المستوى العام للسورة، نود أن نطرح سؤالا: كيف تسهم الضمائر على مستوى كل وحدة على حِدة؟

بعد أن عرضنا للوحدة الدلالية الأولى، تنتقل إلى وحدة أخرى تتمثل في قصة أهل الكهف، فلم ترد أسماؤهم في السورة، بل ذكرت صفة لهم؛ أصحاب الكهف، فهم نواة هذه القصة ومفتاحها.

---

(1) ينظر المرجع السابق، ص.**201**.

(2) نفسه، ص.**201-202**.

وجاءت الضمائر التي تحيل إليهم بعد ذكرهم صراحة "أصحاب الكهف" في الآية **09**: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾، في الكلمات التالية: فقالوا – ربنا – آتنا – لنا – أمرنا – آذانهم – بعثناهم – نبأهم – إنهم – آمنوا – بربهم – وزدناهم – قلوبهم – قاموا- فقالوا- ربنا – ندعو – قلنا – قومنا – فأووا – لكم – ربكم – لكم – أمركم – كهفهم – تقرضهم – وهم – وتحسبهم – وهم – نقلبهم – كلبهم – عليهم – منهم – منهم – بعثناهم – ليتساءلوا – بينهم – منهم – لبثتم – قالوا – لبثنا- قالوا – ربكم – لبثتم – أحدكم – بورقكم – فليأتيكم – بكم - عليكم – يرجموكم – يعيدوكم – تفلحوا – عليهم – عليهم – بهم – عليهم – رابعهم – كلبهم – سادسهم – كلبهم – ثامنهم – كلبهم – بعدتهم – يعلمهم – فيهم – فيهم – لبثوا – كهفهم – ازدادوا – لبثوا.**(1)**

وردت الضمائر التي تحيل إليهم في واحد وسبعين موضعا على مدى سبع عشرة آية، وكلها تحيل إلى الصفة المذكورة في أول لقصة "أصحاب الكهف"، ومن ثَمَّ فالمرجعية داخلية سابقة، وقد حققت هذه الضمائر تماسك هذه القصة، إضافة إلى وحدتها الدلالية.

بعد هذا يأتي التعقيب من **27** إلى **31**، فنلاحظ تغير حركية الضمائر ومرجعيتها، لتتجه إلى الله تعالى والرسول، والكتاب، والحديث عن الذين آمنوا، والذين كفروا.

- أما القصة الثانية "قصة الرجلين" فعناصرها إذن: الرجلان، ثم كل رجل على حِدة، الجنتان. وعليه تعددت مرجعية الضمائر؛ فالعنصر الأول لفظ (الرجلين) جاءت الإحالة إليه في "أحدهما". أما الرجل المؤمن فضمائره: لصاحبه – يحاوره – منك – هو – ربي – أشرك – بربي – ترني – أنا – ربي – يؤتيني.

---

(1) **ينظر د. إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ص.202–203.**

- والرجل الذي جحد ضمائره: له – فقال – لصاحبه – وهو – أنا – ودخل – جنته – وهو – لنفسه – قال – أظن – وما أظن – رددت – ربي – لأجدن – له – صاحبه – يحاوره – أكفرت – خلقك – سواك – دخلت – جنتك – قلت – ترني – منك – جنتك – تستطيع – يثمره – فأصبح – يقلب – كفيه – أنفق – ويقول – يا ليتني – أشرك – بربي – له – ينصرونه – وما كان.

- أما الجنتان فضمائرهما: حففناهما – بينهما – أكلها – خلالهما – هذه – منها – عليها – فتصبح – ماؤها – فيها – وهي – عروشها.

* وما نلاحظه أن المرجعية إلى هذه العناصر هي مرجعية داخلية سابقة، وقد أسهمت في تحقيق تماسك القصة، بالإضافة إلى وحدتها الدلالية.(1)

- وأما عن قصة موسى عليه السلام فعناصرها: موسى، والفتى، والرجل الصالح.

أما الأول فضمائره: لفتاه- أبرح – أبلغ- أمضي – فاتخذ – سبيله – قال –لفتاه – أرأيت – قال – أتبعك – تعلمني – إنك – تستطيع – تصبر – تحط – قال – ستجدني – أعصي – اتبعتني – تسألني – لك – قال – إنك – تستطيع – قال – سألتك – تصاحبني – لدني – قال – وبينك – سأنبئك – تستطع – تسطع.

وأما الفتى ضمائره: آتيناه – علمناه- له – أتبعك – تعلمني – علمت – قال – معي – ستجدني – لك – قال – اتبعتني – تسألني – أُحدث – خرقها- أخرقتها – لتغرق – جئت – قال – أقل – معي – تؤاخذني – ترهقني- فقتله- أقتلت- جئت – قال- أقل – معي – سألتك – تصاحبني – بلغت – فأقامه – شئت – لاتخذت – قال – بيني – سأنبئك – فأردت – أعيبها – فعلته – أمري.

(1) ينظر المرجع السابق، ص.**203–204**.

مع الإشارة إلى ضمائر مشتركة تحيل إلى موسى وفتاه معا مثل: بلغا – نسيا – حوهما – جاوزا – آتنا – غذاءنا – لقينا – سفرنا – أوينا – فارتدا – فوجدا.
وأخرى تحيل إلى موسى والخضر معا، مثل: فانطلقا – ركبا – فانطلقا – لقيا – فانطلقا – أتيا – استطعما – يضيفوهما – فوجدا.

* وقد أسهمت الضمائر بمرجعياها المختلفة في تحقيق تماسك هذا النص القصصي، إضافة إلى التلاحم الدلالي الحاصل بين أحداث القصة.(1)

وأخيرا قصة "ذي القرنين" وهو العنصر الأساس في هذه القصة، وهناك عناصر أخرى مثل يأجوج ومأجوج، فنجد الضمائر تتحرك باتجاه المحور "ذي القرنين" في:
منه – له – آتيناه – فاتبع – بلغ – وجدها – ووجد – تُعذب – تتخذ – قال – نعذبه – وسنقول – أمرنا – أتبع – بلغ – وجد – لك – تجعل – قال – مكني – فأعينوني – أجعل – آتوني – سآوي – قال – جعله – قال – آتوني – أفرغ – قال – ربي – ربي.

- أما عناصر يأجوج ومأجوج ففي: بينهم – بينهم – اسطاعوا – يظهروه – استطاعوا – بعضهم – فجمعناهم.

وما يمكن ملاحظته هو كلما كان العنصر الرئيس منتشرا وشائعا في القصة، كلما ازدادت الضمائر التي تحيل إليه، كما حدث مع لفظ الجلالة، والرسول صلى الله عليه وسلم، والفتية، والرجلين، وموسى، والرجل الصالح، وذي القرنين، فالضمائر لا تتوزع عشوائيا لكنها حسب الدلالة التي يريد النص إيضاحها.

كما نشير إلى أن ذكر لفظ الجلالة أو الضمائر التي تحيل إليه كان منتشرا في الوحدات كلها، فكل أجزاء السورة تشترك في هذا العنصر.

---

(1) ينظر المرجع السابق، ص.**205**.

ونؤكد في الأخير على حقيقة هي أنَّ الضمائر قد أسهمت بشكل بارز في تحقيق التماسك النصي من خلال المحور العام للسورة، ومن خلال كل وحدة دلالية على حدة مع مراعاة الدلالة المشتركة بينها وهي انتصار الجانب المؤمن.(1)

2- التحليل النصي لسورة الكهف من خلال التوابع:

بعد أن عرفنا أن موضوعات أو قصص السورة الكريمة متماسكة معنويا، نود الآن معرفة ما وظيفة التوابع في تحقيق التماسك النصي لكل موضوع من هذه الموضوعات؟ لنبدأ بتحليل النص المرتبط بأهل الكهف، يظهر أن القصة كلها ملخصة في الآيات **10، 11، 12:**

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الآية **10**.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ الآية **11.**

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ الآية **12.**

نلاحظ أن الروابط الموجودة هنا تتمثل في العطف في الآية **10** بالفاء والواو، وهو ربط بين أربع جمل: أوى الفتية، فقالوا ربنا، آتنا من لدنك رحمة، وهيئ لنا من أمرنا رشدا، ثم يحدث التماسك بين العاشرة والحادية عشرة بالفاء التي وقعت في جواب الطلب أو الدعاء: (فضربنا)، ويظهر التماسك الدلالي كذلك في جواب الطلب نفسه.(2)

وهناك رابط آخر يتمثل في قوله تعالى: ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾؛ إذ يقدرها الأخفش الأوسط بـــ "سنين نعدها عددا"، وفي هذا نعت لسنين.

---

(1) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ص. **205-206**.

(2) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: السابق، ص. **294-295**.

ثم يربط بين الآية الحادية عشرة والثانية عشرة بالعطف بـــ "ثُمَّ"

﴿الآية ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾.

- إذن حدث التماسك بين هذه الآيات الثلاث التي تمثل موجزا لقصة أهل الكهف عن طريق العطف والنعت.

ثم تأتي جملة اعتراضية بين الثانية عشرة والثالثة عشرة لتؤكد أن هذه القصة حقّ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ الآية **13**.

- ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ الآية **13**.

- ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ الآية **14**.

- ﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية **15**.

- ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ الآية **16**.

- فحدث التماسك بين (آمنوا)، و(زدناهم) في **13**، ثم بين **13** و**14** بواو العطف (وربطنا)، وبين (قاموا) و(قالوا) بالفاء، و(شططا) هي صفة لمصدر محذوف والتقدير قولا شططا.**(1)**

ثم ينقل قول أهل الكهف في الآية **15** ويضيفه إلى رغبتهم في اعتزال القوم الظالمين في الآية **16** عن طريق حرف العطف الواو.

---

(1) السابق، ص.295.

والحديث كله موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو واضح في الآيات **6**، **9**، **13**، **17**، **18** ...الخ . فقد عطف بين **13**، **17**، إذ أن الحديث تغير من الغيبة في **16** إلى الخطاب في **17**، ليصف في الأخيرة وضعهم في الكهف:

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَتَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ الآية **17**.

فقد عطف بين الجملتين داخل الآية بالوا: إذا طلعت وإذا غربت. وكذلك بين من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا. مع وجود نعت في قوله تعالى: ﴿وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

ثم يربط بين الآيتين **17**، **18** بالواو في قوله تعالى:

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾.

ثُم يتحول الكلام إلى أسلوب المتكلم:

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ الآية **18**.

ثم يتحول مرة أخرى إلى أسلوب المتكلم في الآية **19** ليصف مرحلة بعثهم من رقادهم الطويل:

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا **19** إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا **20**﴾.**(1)**

---

(1) السابق، ص.296-297.

ولا يخفى ما في هاتين الآيتين من تماسك دلالي يتمثل في وصف ساعة بعثهم. وتماسك شكلي عن طريق العطف بالواو والفاء. هذه فضلا عن مرجعية الضمائر وغيرها من وسائل التماسك النصي.

ثم يعطف بين وصف هذه الساعة وساعة العثور عليهم، مع العلم بوجود جمل مقدرة بين هذين الوصفين تترك لخيال القارئ (متلقي النص). المهم أن هناك تماسكا بين الآيات السابقة والآية **21**:

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا **21**﴾.

وتوجد كذلك روابط العطف داخل الآية نفسها.

ثم ينتقل النص القرآني ليصف أقوال الناس عن عددهم في الآية **22** مستخدما النعت والعطف:

﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا **22** وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا **23** إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا **24**﴾ ثم يربط هذه بالحلقة الأخيرة من القصة بالعطف لما سبق بالآية **25**:

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[(1)].

(1) السابق، ص.**297**.

وهكذا تتماسك القصة نصيا عن طريق نوعين من التماسك النصي:

الأول: التماسك الدلالي كما عرضنا، والثاني: التماسك الشكلي عن طريق وسائل عديدة للتماسك النصي؛ يخصنا هنا منها العطف والنعت.

ثم يعقب على هذه القصة بآيات ترتبط بها ارتباطا وثيقا، يتمثل في العبرة من القصة؛ في أنه إذا كان هذا موقف الفتية في الصبر على الاعتزال عن الناس وعن الشهوات حفاظا على دينهم، فإنه من الطبيعي أن يكون موقف الرسول صلى الله عليه وسلم ليس أقل منهم، بل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً **28** وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ **29**﴾.

ويربط كذلك القصة ببيان عقاب الظالمين وثواب المؤمنين في الآيات **29**، **30**، **31**، ليبدأ من بعد قصة الجنتين ليوضح فيهما نموذجا آخر يبين فيه عقاب الظالم وثواب المؤمن. فصلت هذه القصة في ثلاث عشرة آية، وقد استخدم فيها ستة وعشرون حرف عطف، ونعت واحد، وذلك لتحقيق التماسك بين كلمات القصة وعباراتها وجملها وآياتها. فمن أمثلة استخدامها للربط بين الكلمات قوله تعالى:

- ﴿إِنْ تُرَنِي أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ الآية **39**.

ومن أمثلة الربط بين العبارات قوله تعالى:

- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[1] الآية **37**.

---

(1) السابق، ص.298.

ومن أمثلة الربط بين الجمل قوله تعالى:

- ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا...﴾ الآية **32**.

- ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ الآية **33**.

- ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ الآية **34**.

- ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ الآية **37**.

- ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الآية **40**.

- ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ الآية **42**.

- ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾ الآية **43**

- ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ الآية **44**.

أما أمثلة الربط بين الآيات فمنها قوله تعالى:

- ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ الآية **32**.

- ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ الآية **34**.

- ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ الآية **35**.

- ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ الآية **36**.

- ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ الآية **39** .

- ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا **40** أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا **41**﴾

- ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ...**42** وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ...**43**﴾.(1)

---

(1) السابق، ص.299.

هذه هي الروابط التي تحقق التماسك النصي من الناحية الشكلية، ومن الناحية الدلالية، فإن وحدة الموضوع في هذه القصة يكفل تحقيق التماسك الدلالي لها.

وقد أبانت هذه القصة مثل سابقتها ثواب الخير وعقاب الشر. وهذا رابط دلالي آخر، غير ما ذكرناه، يحقق التماسك بين هذه القصة والسابقة عليها. ثم يأتي التعقيب على هذه القصة بآيتين شديدتي التماسك بها:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا **45** الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا **46**﴾.

فهما توضحان مثل الركون إلى الدنيا، ومثل ابتغاء ما عند الله. وهذا ما حدث في قصة الرجلين اللذين منح أحدهما جنتين وهذا تماسك دلالي واضح. مع ما فيه من مناسبة بين القصة والتعقيب، فالحياة الدنيا مثل هذه الجنة التي لم تدم لصاحبها ولم تنفعه لأنه ركن إليها وأنكر قيام الساعة وهو ظالم لنفسه. فالفناء والزوال من طبيعة هذه الدنيا.

ويتماسك هذا التعقيب من **45** إلى **49** في كونه يعرض ليوم القيامة الذي يفرق فيه كل أمر، فترى ثواب من اعتز وتمسك بما عند الله، وعقاب من أنكر الساعة وعصى الله. وذلك كله تعقيب على القصة السابقة، وكذلك تمهيد للإشارة الموجزة لقصة آدم عليه السلام وامتناع إبليس عن السجود له.

هذه القصة تؤكد ظلم الإنسان لنفسه باتخاذ إبليس وليا من دون الله، ولذلك كان التمهيد لهذه القصة محذرا لهم:[(1)]

﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ **49**.

(1) السابق، ص.300.

ثم يعطف هذا التحذير الشديد اللهجة على القصة الموجزة لامتناع إبليس عن السجود:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ الآية **50**.

ويتماسك نص هذه القصة دلاليا وشكليا، الأول بتوحد موضوعها، أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم، ثم سجود الملائكة كلهم أجمعين إلا إبليس الذي أبى السجود وفسق عن أمر الله.

هذه هي القصة بإيجاز، وقد فصلتها سور أخرى في آيات كثيرة، كل سورة تفصل فيها القصة بالقدر الذي يتناسب مع غرض السورة ومناسبتها.

والتماسك الشكلي من خلال التوابع، يظهر في العطف:

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ و ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾.

ويتماسك التعقيب مع القصة، إذ يأمر سبحانه المضلين أن ينادوا شركاءهم المزعومين، وذلك يوم القيامة، ولكن هيهات هيهات. ثم يربط هذا بالعطف بين الآيات، ليعرض مصير المجرمين. وظهرت الواو العاطفة في بداية الآيات **52**، **53**، **54**، **55**، **56**، **57**، **58**، **59** ثم يربط هذا كله بالقصة الرابطة، قصة موسى عليه السلام مع فتاه، ثم مع الخَضِر في الآيات من **60** إلى **82**. والتماسك النصي لهذه القصة يظهر على محورين:**(1)**

الأول: الدلالي، وهو بدوره يظهر على محورين:

1- محور الحوار بين موسى وفتاه، ثم بين موسى والخضر، ويظهر هذا في (قال) أو لفظ القول الذي تكرر في هذه القصة سبع عشرة مرة. وهذا من المحاور التي تحقق التماسك الدلالي في القصة.

---

(1) السابق، ص.301.

2- محور وحدة الموضوع، فهي تصف رحلة موسى عليه السلام مع فتاه، ثم لقاءه مع الخضر ليدور بينهما الحوار.

الثاني: التماسك الشكلي، وذلك عن طريق وسائل كثيرة، المرجعية، العطف، الحذف، التكرار.

وما يخصنا هنا هو دور التوابع في تحقيق هذا التماسك، خاصة إذا علمنا أن هذه القصة لم تذكر في القرآن إلا هذه المرة، ومن ثَمَّ فينبغي أن تكون قصة كاملة.

وقبل عرض دور التوابع في تحقيق تماسكها نؤكد أن قصة موسى مع العبد الصالح ترتبط في سياق السورة – بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله الذي يدبر الأمر بحكمته...

فالتوابع تحقق التماسك بين كلمتين، وبين عبارتين، وبين جملتين أو جمل، وبين آيتين أو آيات.

فمن نماذج الربط بين كلمتين أو أكثر قوله تعالى:

- ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ الآية **74**.
- ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ الآية **77**.
- ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ الآية **79**.
- ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ الآية **80**.
- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ الآية **82**.[(1)]

ومن الملاحظ أن التماسك بين كلمتين لا يتحقق من خلال العطف وحده، بل يتحقق أيضا من خلال النعت.

ومن نماذج الربط بين عبارة وعبارة قوله تعالى:

- ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ الآية **78**.

---

(1) السابق، ص.302.

ومن نماذج الربط بين الجملة والجملة قوله تعالى:

- ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ الآية **60**.

- ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ الآية **61**.

- ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الآية **63**.

- ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ الآية **64**.

- ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ الآية **65**.

- ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ الآية **69**.

- ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ الآية / **73**.

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ الآية **74**.

- ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ الآية **77**.

- ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ الآية **79**.

- ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ الآية **80**.

- ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ الآية **82**.(1)

---

(1) السابق، ص.303-304.

من الواضح أن أدوات التماسك بين الجمل أكثر من أدواته بين الكلمات وبين العبارات. وهذا طبيعي، إذ إن الجمل تصلح للتعبير عن الأحداث أكثر من غيرها من الكلمات والعبارات، ولا شك أن هذه السورة تقص أكثر من قصة ومن ثم كانت في حاجة إلى الربط بين الجمل. ونرى أن أدوات التماسك بين الكلمات أو العبارات تكتفي بتحقيق التماسك على مستوى الجملة فقط على حين وجودها بين الجمل يحقق التماسك بين أركان النص. وكذا وجودها بين الآيات؛ فالتماسك النصي يظهر أكثر حينما تلاحظ أدواته بين الجمل وبين الآيات. ونلاحظ أنه كلما طال النص، كثرت أدوات التماسك النصي.

أما الأدوات الرابطة بين الآيات ففي قوله تعالى:

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾ الآية **60**.
- ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ الآية **61**.
- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ﴾ الآية **62**.
- ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا **64** فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا **65**﴾.
- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ الآية **71**.
- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ الآية **74**.
- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ الآية **77**.
- ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ الآية **80**.
- ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ﴾ الآية **81**.
- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ الآية **82**.[1]

وكثرة هذه الأدوات تعكس التماسك النصي القائم بين جزئيات هذا النص الكريم الذي يتحدث عن قصة موسى مع فتاه ومع العبد الصالح.

---

(1) السابق، ص.304.

ثم يربط مباشرة بين هذه القصة وقصة ذي القرنين وأصحاب الأخدود بحرف العطف الواو:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ الآية **83**.

وهي تستمر من الآية **83** إلى الآية **99**.

والخطاب في هذه السورة – كما هو ثابت في كتب مناسبات النزول – موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عندما سئل عن أهل الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح. ومن ثم بدأت القصة بالفعل "ويسألونك"، هذا بالإضافة إلى ضمائر الخطاب الموجهة إليه صلى الله عليه وسلم في السورة كلها.

وهذه القصة مثل سابقتها في أنماط التماسك بين الكلمات، وبين العبارات، وبين الجمل، وبين الآيات. وفي نهاية التحليل نجد نمطا آخر من أنماط التماسك، وهو التماسك بين الفقرات أو النصوص الفرعية المكونة للنص الرئيسي، كما يتحقق هذا في العلاقة بين هذه القصص الخمس.

ومن نماذج النمط الأول قوله تعالى:

- ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ الآية **86**.
- ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ الآية **87**.
- ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ الآية **88**. أي عمل عملا صالحا.
- ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ الآية **88** أي قولا يسرا.**(1)**
- ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ الآية **90**.
- ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ الآية **93**.
- ﴿الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية **94**.

---

(1) السابق، ص.305.

ومن نماذج النمط الثاني قوله تعالى:

- ﴿عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ الآية **94.**
- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ الآية **84.**
- ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ الآية **86.**
- ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ الآية **86.**
- ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ الآية **87.**
- ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ **88.**
- ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ الآية **97.**

أما نماذج النمط الرابع فمنها قوله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ الآية **83.**

ويلاحظ أن قصة الرجلين، وقصة آدم وإبليس، وقصة موسى عليه السلام مع فتاه والعبد الصالح، وقصة ذي القرنين، كل واحدة منهن تبدأ بحرف العطف "واضرب لهم مثلا رجلين"، "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم"، "وإذ قال موسى لفتاه"، "ويسألونك عن ذي القرنين"، على حين قصة أصحاب الكهف لا تبدأ بهذا العطف، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ترابط القصص الأربع مع القصة الأولى.**(1)**

وكذا يدل على تماسك هذه القصص الخمس داخل النص الأساسي للسورة.

(1) السابق، ص.306.

ومن بين نماذج النمط الرابع كذلك قوله تعالى:

- ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ الآية **85**.
- ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾ الآية **88**.
- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ الآية **89**، **92**.
- ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ الآية **97**.
- ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ الآية **99**.

ويتماسك نص هذه القصة دلاليا من خلال محورين، كما حدث في قصة موسى مع فتاه والعبد الصالح.

الأول: محور الحوار القائم بين الذين سألوا رسول الله عن ذي القرنين، ورد الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بين ذي القرنين ومحاوريه.

الثانية: محور الوحدة الدلالية الموضوعية لهذه القصة، إذ إنها تتحدث عن ذلك الرجل الذي طاف المشرق والمغرب بين السدين.

ونظرا لأن هذه القصة قد أبانت ما يحدث للظالمين، وللمؤمنين، فقد كان التعقيب المباشر عليها وحتى نهاية السورة مرتبطا بها. وهذا التماسك يبدأ من الآية **99**: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا **99** وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا **100**﴾.

ثم يتوالى وصف مصير هؤلاء الظالمين حتى الآية **106**: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.**(1)**

ثم يليها مباشرة وصف حال المؤمنين، وقد سبق وصفهم في القصة: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا﴾ الآية **88**.

---

(1) السابق، ص.307.

ثم يؤكد هذا الوصف من الآية **107** إلى **108** ولا شك أن هذا التقابل الدلالي يسهم في الربط بين المتقابلين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً **107** خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً **108**﴾. ثم تختم السورة بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الآية **110**.

ويلاحظ أن نهاية السورة يؤكد قضية السورة الأساسية "التوحيد": ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

* وقد تأكد هذا المضمون كثيرا في السورة. وهكذا تلتقي القصص الخمس مع موضوع السورة حيث تؤكد هذه القصص طبيعة الطرفين المتضادين؛ طرف المؤمنين، وطرف العاصين أو الكافرين، لتؤكد أن الفوز دائما مع الطرف الأول. وهذا وجه من وجوه التماسك الدلالي في السورة. وكذلك تؤكد دور التوابع في تحقيق التماسك النصي داخليا على مستوى كل قصة، وخارجيا على مستوى العلاقة بين هذه القصص على مستوى السورة.(1)

3- التحليل النصي لسورة الكهف من خلال التكرار:

تتكون سورة الكهف من خمس قصص، هذا يجعلنا نقول بأن هناك استمرارية تحققت في هذه القصص، والتي حققت بدورها التماسك النصي، وهي الغاية المرجوة من كل قصة، فكلها تصل إلى نتيجة واحدة تتمثل في انتصار الخير والحق.

يمكننا أن نعد هذه الاستمرارية التي تكررت في القصص الخمس نمطا جديدا من التكرار، وهو ما يعرف "بالتكرار الدلالي"، وله دور في تحقيق التماسك النصي: فتلك الدلالة قد تكررت في وحدات السورة كلها.

---

(1) السابق، ص.**308**.

وهو ليس وقفا على مستوى السورة فحسب، بل يتجاوزه إلى مستوى السور عامة، فالسور المكية على وجه الخصوص تعالج قضية العقيدة، ومن ثم نرى بأن الأمور المتعلقة بالعقيدة تتكرر في هذه السورة معظمها، لذلك نقول إن التكرار الدلالي يقوم بوظيفة التماسك النصي بين السور المكية بصفة عامة.(1)

- أما عن تكرار الكلمات فهو الآخر له دور في تحقيق تماسك هذه السورة، فقد تكرر لفظ (الجلالة) مثلا في خمس وخمسين موضعا، ولفظ (القول) في سبعة وخمسين موضعا، بالإضافة إلى كلمات أخرى تتكرر في كل قصة دون غيرها.

يتكرر لفظ الجلالة من الآية الأولى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ الآية **01**. إلى الآية الأخيرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الآية **110**.(2)

وهذه القصص جميعها من الأمور الغيبية، ولا يعلمها إلا الله، ومن ثم كان تكرار ذكره أمرا مؤكدا للتذكير الدائم على أن المُخبِر بهذه الأمور هو الله ولذا لا مكان للشك فيها.

وكما سبق التأكيد على وظيفة تكرار الضمائر، وأنها تقوم مقام الاسم الظاهر، فإننا هنا نجد الضمائر التي تحيل إلى الله تعالى قد تكررت في تسعة وثمانين موضعا. إذن يمكن القول إن لفظ الجلالة قد تكرر في مائة وأربعة وأربعين موضعا بطول مائة وعشر آيات، مما يوحي بالتماسك القائم بين هذه الآيات.

---

(1) ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج02- ص.43-44.

(2) نفسه، ص.44-45.

وهذا التكرار للفظ الجلالة يحقق التماسك على مستوى الآية الواحدة، وأكثر من آية؛ فعلى المستوى الأول رأينا ما بين اللفظ والضمائر كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ الآية **01**.

فقد ذكر لفظ الجلالة على هذا النحو، خمس مرات؛ فالضمائر "الذي"، أنزل (هو)، عبده، يجعل (هو)، تعود إلى اللفظ المذكور في صدر الآية. ومن ثم فهي تكرار لهذا اللفظ، وتحقق تماسكها. وكذلك بين الأسماء الظاهرة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ الآية **24**.

فقد تكرر اللفظ ثلاث مرات، وكذلك بين الاسم الظاهر والضمائر كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[1] الآية **26**.

فقد تكرر من خلال الضمائر سبع مرات.

والتكرار للاسم الظاهر في الآيات: **38**، **39**، **82**، **98**، **109**، **110**،

والتكرار للاسم الظاهر عبر الضمائر التي تحيل إليه في الآيات أمثلته: **10**، **14**، **16**، **21**، **26**، **27**، **28**، **29**، **40**، **48**، **50**، **57**، **58**، **87**، **98**، **105**.

وأما تكرار لفظ "القول" فهذا يتناسب مع طبيعة السورة؛ فهي سورة قصصية، وطبيعة القصص الحوار؛ قال، وقل، وقلت، وقلنا... الخ. لهذا نجد تكثيفا لورود هذا اللفظ في الآيات التي تتحدث عن القصص، أكثر من الآيات التي تعقب عليه؛ ففي قصة أهل الكهف ورد في ثماني آيات، في حين لم يرد في المقدمة إلا في آيتين من بين تسع آيات. وكذلك لم يرد في التعقيب على القصة إلا في آية واحدة وورد في قصة الرجلين في خمس آيات، في حين لم يرد في التعقيب عليها إلا في آية واحدة.

---

(1) السابق، ص.45-46.

وكذلك ورد في قصة السجود لآدم في آية واحدة، وهي الوحيدة التي تحدثت عن هذه القصة في السورة، وورد في التعقيب عليها من **51** إلى **59** في آية واحدة فقط. وورد في قصة موسى مع الرجل الصالح من **60** إلى **82** في خمس عشرة آية. وفي قصة ذي القرنين من **83** إلى **99** في ثماني آيات، في حين لم يرد في التعقيب عليها من **100** إلى **110** إلا في ثلاث آيات فقط.

ولفظ القول إضافة إلى تكرار جذره (ق و ل)، وإلى ما يحدثه هذا التكرار، ليس بين الألفاظ فحسب، بل بين الآيات التي تتكون من هذا اللفظ، إضافة إلى هذا فإن تحقيقه للحوار من بين الأنماط المحققة للتماسك النصي؛ ففيه القول والرد عليه، وفيه السؤال والإجابة عنه... وهكذا.(1)

ونشير إلى مرجعية التكرار في لفظ الجلالة والضمائر المتعلقة به، والتي تمثل تكرارا له، فمرجعية داخلية سابقة، إذ ذكر لفظ الجلالة صراحة في الآية الأولى من السورة.

وكذلك تشابه أطراف هذه السورة المباركة بالمد المفتوح من الأنماط التكرارية التي تحقق تماسكها. وهي من أوجه المناسبة في السورة.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل هذا التكرار، بالنسبة للكمات والجمل، مطرد في السورة كلها، أم تتميز كل قصة بمعجم خاص يتكرر فيها؟

ونقول إن هناك قاسما مشتركا من ناحية، وتميزا لكل منها من ناحية أخرى؛ فأما الأول فتكرار لفظ القول، كما سبق، هو القاسم المشترك بين هذه القصص الخمس، ولا تتميز فيه قصة عن غيرها. وكذلك لفظ الجلالة وما يحيل إليه.

أما الثاني؛ فنجد أن قصة أهل الكهف تكرر فيها على سبيل المثال، لفظ "الكهف" في ست آيات: **9**، **10**، **11**، **16**، **17**، **25**. ولم يذكر في أي من القصص الأخرى.

---

(1) السابق، ص.46-47.

وتكرر لفظ "البعث" في آيتين **12**، **19**. و"لبثوا" أربع مرات في الآيات **12**، **19**، **26**. و"الفتية" في **10**، **13**. وكذلك "ذات اليمين" في موضعين، و"ذات الشمال" في موضعين، وهذه الأنماط لم تتكرر إلا في قصة أهل الكهف. وبها تميزت عن القصص الأخرى.

أما قصة الرجلين فتميزت بتكرار لفظ "الجنة" في الآيات **32**، **33**، **39**، **40**. وكذلك "قال له صاحبه" في **34**، **37**.

وقصة السجود لآدم، تكرر فيها "اسجدوا" و"سجدوا"، ولم تتكرر في أي من القصص الأخرى.**(1)**

أما قصة موسى مع الرجل الصالح فتكرر لفظ "البحر" في الآيات **60**، **61**، **63** ولم يتكرر إلا في خاتمة السورة في آية واحدة. وتكرر لفظ "الصبر" في سبعة مواضع من القصة ليتناسب مع موضوع القصة. ولم يتكرر في القصص الأخرى. وكذلك لفظ "العلم" تكرر في أربعة مواضع، دون غيرها من القصص ليتناسب مع علم الرجل الصالح وعدم علم موسى بهذه الأمور.

أما قصة ذي القرنين فتميزت بتكرار "اتبع سببا" ثلاث مرات في الآيات **85**، **89**، **92** ولم تتكرر في غيرها من الآيات وكذا تكرر "ذو القرنين" في آيتين **83**، **94**.

إذن لم يكن التكرار مطردا في السورة؛ بل تميزت كل قصة بنمط معين أو معجم معين تكرر فيها دون غيرها.

---

(1) السابق، ص.47-48.

ونمط آخر من التكرار في رد العجز على الصدر؛ فالخاتمة تمثل ردا على المقدمة التي تمثل الصدر؛ فكلتاهما تتحدث عن الكتاب والوحي، وعن البُشرى للمؤمنين بالجنة والنذير للكافرين بالنار، وعن الوحدانية؛ فإذا قال الكافرون في المقدمة: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ الآية **04**، فإن الخاتمة ترد: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ الآية **110**، وإذا كان الكتاب في المقدمة: ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ الآية **01**، فإنه في الخاتمة لينفذ: ﴿الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الآية **109**. وإذا كانت المقدمة تذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه (عبده)، فإنه في الخاتمة يوضح صفة أخرى وهي أنه (بَشَرٌ مِثْلُكُمْ). وهكذا يرُد عجز السورة على صدرها، مكررا للدلالات القائمة في الموضعين.(1)

ونمط آخر من التكرار في السورة يتمثل في الآيات التفسيرية لما سبق، كما في الآية التاسعة: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ الآية **09**. فإن الآيات التي وردت بعدها قامت بتفسير تلك الآية العجيبة التي أشارت إليها الآية التاسعة، وذلك التفسير بدأ من قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾ الآية **10**، وحتى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ الآية **26**.(2)

ومن الآيات التي تكررت في السورة كذلك قوله تعالى:

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ الآية **04**.

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الآية **26**.

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ الآية **38**.

﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ الآية **42**.

---

(1) السابق، ص.48-49.

(2) انظر كذلك ما بين الآيات "30-31"، "32-33"، "45-46"، "67-68 إلى 82"، فيها تفسير لجملة ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾/67. وكذلك ما بين 83، 84 إلى 98... وهكذا.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ الآية **52**.
﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الآية **110**.

فالتكرار هنا أحيانا باللفظ، وكله بالدلالة؛ فالآيات كلها تؤكد قضية عدم الشرك بالله، وأنه لا شريك له في حكمه، ولا ولد له. وقد عرضنا في بداية تحليل السورة لتكرار بعض الآيات التي توضح ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين وأنها تكررت في الوحدات العشر للسورة.

* فوظيفة التكرار في هذه السورة تأكدت في كونها حققت تماسكا دلاليا وشكليا عبر تكرار الكلمات، والعبارات، والجمل، والآيات. وعبر التماسك الدلالي بين الآيات، والقصص كذلك، وعبر رد العجز على الصدر، وعبر الآيات التفسيرية.[1]

4- التحليل النصي لسورة الكهف من خلال الحذف:

إن طبيعة القصص القرآني المعجز وما له من خصوصية تمثل في الحذف، تقتضي عدم الوقوف على كل التفاصيل، إذ إنها تركز على الخطوط البارزة للقصة، وتدع ما هو ثانوي للمتلقي ليحاول إدراكه من خلال السياق وتعاقب أحداث القصة، وفي هذا تفاعل واستمرارية بين النص والمتلقي.

والنص القرآني نصٌّ مفتوح على دلالات غير ثابتة، وعليه يختلف تقدير المحذوف من متلق إلى آخر، تبعا لأفق كل متلق.

(1) السابق، ص.**49-50**.

ومن نماذج حذف الاسم قوله تعالى:

- ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ الآية **05**.
- ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ الآية **14**.
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية **21**.
- ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ الآية **25**.[(1)]

﴿... مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ الآية **49**.

والجدول الموالي يوضح ذالك:

الآية	المحذوف	الدليل	سابق	لاحق	المرجعية	نوع التماسك
5	(مقالتهم) كلمة	كلمة	-	لاحق	داخلية لاحقة	بين عناصر الآية الواحدة
5	(قولا) كذبا	يقولون	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
14	(قولا) شططا	قلنا	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
21	(عثورا) كذلك	أعثرنا	-	لاحق	داخلية لاحقة	بين عناصر الآية الواحدة
25	(تسع) سنين	سنين	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
49	(حسنة أو سيئة) صغيرة	السياق	-	-	خارجية	بين عناصر الآية الواحدة

(1) ينظر إبراهيم الفقي: السابق، ص.232-233.

ويلاحظ التماسك في النماذج 5، **14**، **21**، **25** لأن الدليل المذكور لفظا داخل الآيات فالكلمة هي عنصر القول، قولاً. يقولون، قولاً – قُلنا، وكثير في القرآن حذف مقول القول، وعثوراً – أَعْثَرْنَا، سنين – سنين. بينما النموذج **49** لا يظهر فيه التماسك بين عناصر هذه الآية.**(1)**

وهناك نموذج آخر لحذف الاسم، والدليل عليه يوجد في سورة أخرى؛ قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الآية **48**.

وفي الأنعام: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الآية **94**.

فالفراغ الذي في آية الكهف يسد من خلال الدليل الذي في آية الأنعام، ليصبح التقدير: لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم فرادى أول مرة. والدليل هنا خارجي مقالي، ومن ثم فالمرجعية خارجية. وهذا يحقق التماسك بين الآيات التي في سور مختلفة، وعليه يؤكد التماسك بين سور القرآن أيضا. وهذا ما سنفصله بعد قليل.

---

(1) السابق، ص.**233-234**.

أما نماذج حذف الفعل، فمنها قوله تعالى:

- ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ الآية **18**.

- ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ الآية **99**.

- ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ الآية **100**.[1]

الآية	المحذوف	الدليل	سابق	لاحق	المرجعية	نوع التماسك
18	(ونقلبهم) ذات الشمال	نقلبهم	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
100	يوم إذ (حدث هذا)	السياق السابق	سابق	-	داخلية سابقة	بين أكثر من آية
100	يوم إذ (نفخ في الصور)	ونفخ في الصور وجمعناهم جمعا	سابق	-	داخلية سابقة	بين أكثر من آية

يمكن أن نعد النموذج الأول من الآية **100** نمطا لحذف أكثر من جملة، وتنوين العوض يبين هذا؛ فبعد أن فرغ من بناء السد، وجاء وعد الله، وجعله دكا، ترك بعضهم يموج في بعض، وهذه كلها جمل محذوفة دل عليها السياق اللغوي للآيات السابقة. وفي هذا تحقيق للتماسك بين أكثر من آية. وكذلك في النموذج الثاني ربط بين آيتين من خلال الحذف. والمرجعية فيها كلها داخلية سابقة.

(1) السابق، ص.234.

ومن نماذج حذف الجملة أو أكثر قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا **10** فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا **11**﴾.

أي: فاستجبنا دعاءهم فضربنا، وهذا الحذف يمثل ربطا دلاليا بين آية الدعاء وآية الإجابة، ودل على المحذوف، السياق اللغوي؛ ومن ثم فمرجعية هذا المحذوف داخلية سابقة.

ونموذج آخر يمثل المرجعية الخارجية للمحذوف؛ إذ إن الدليل يوجد خارج السورة؛ في سور أخرى، وذلك في قوله تعالى من الكهف: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ الآية **37**.**(1)**

و: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ **12** ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ **13** ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَا خَلْقًا آخرَ فَتَبَارك اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِين **14**﴾ المؤمنون.

فآيات سورة "المؤمنون" توضح الجمل المحذوفة في آية الكهف، ومن ثم يسهم الحذف في تحقيق التماسك بين آيات السور المختلفة. وللمتلقي دوره في ملاحظة هذا التكامل بين آيات السورتين.

وكما سبق القول إن القصص يتميز بحذف عناصر كثيرة؛ فيقول تعالى في الآية **20** ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ وفي الآية **21**: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ...﴾

---

(1) السابق، ص.**235**.

فبين هاتين المرحلتين محذوفات تقديرها: فذهب أحد أهل الكهف ليحضر لهم طعاما، فشعر به الناس ثم اتبعوه إلى الكهف، ثم عثروا على أصحابه، وكذلك أعثرنا عليهم. لكن هذه الجملة المحذوفة يمكن للمتلقي إدراكها من خلال تعاقب الأحداث في سياق القصة. وهذا في ضوء التحليل النصي يبرز الأثر القوي للمتلقي في تقدير المحذوف، ومن ثم العثور على المعنى الكلي للنص بتفاصيله كلها؛ المذكورة والمحذوفة. وهذا كثير في القصص الكريم في كتاب الله تعالى.(1)

وقد حدث هذا في القصة نفسها في الآية **16**: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ...﴾.

أي: فذهبوا إلى الكهف، وضرب الله على آذانهم، فغشيهم النوم، فلبثوا فيه ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا، ثم بعثهم الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ الآية **19**.

ونموذج آخر في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ الآية **70**.

ثم يقول مباشرة: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ الآية **71**.

أي: فقبل موسى عليه السلام هذا الشرط، ثم اتبع الرجل الصالح، فانطلقا... فلا شك أن السياق له أهمية في ملء هذه الفراغات، وهذا السياق من بين أنماط الكفاءة التي يجب أن تتوافر لدى المتلقي للنص.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ الآية **71**.

أي: فعلم أن هناك ملكا جبارا يأخذ كل سفينة غصبا، فخرقها، فلم تستطع السير في البحر، فتركها أهلها، ونجوا من هذا الملك. وهذه كلها أمور أو أحداث ثانوية بالنسبة للحدث الرئيسي، وهو إحداث الخرق في السفينة. وهذه المكملات المحذوفة، من وظيفة المتلقي معرفتها حتى تكتمل صور النص الدلالية في ذهنه.(2)

---

(1) السابق، ص.**235-236**.

(2) السابق، ص.**236-237**.

ولم يقف هذا الحذف عند القصص، بل في أحداث مرتبطة بأمر ما، مثل الذي حدث في مراحل خلق الإنسان، وكذلك هنا في مراحل نمو النبات إذ يقول تعالى: ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ الآية **45**.

أي: فاخضرّ، ونما، وأثمر، ونضج ثمره، ثم يبس، فأصبح هشيما تذروه الرياح. وهذه المراحل تعتمد على ملاحظة المتلقي لهذه المراحل على أرض الواقع.

إذن أسهم الحذف بأنواعه في تحقيق تماسك هذه السورة، وبيان مهمة المتلقي في ملء الفراغات المُسَببة عن الحذف، ومن ثم فك شفرة النص، والعثور على المعنى الكامل له. **(1)**

* إن ما يمكننا أن نصل إليه كاستنتاج هو أن كل آلية من آليات الاتساق قد أسهمت بوظيفتها ومن موقعيتها بنصيب وافر مع بقية الآليات الأخرى في إقامة صرح هذه المدونة (سورة الكهف) وتحقيق تماسكها. مع الإشارة إلى أنه قد يحدث ألا تتوفر كل هذه الآليات في نص واحد، لكن هذا لا يمنع من توحد أجزاء هذا النص وتماسكه، فما لم يتسق بالإحالة اتسق بالوصل، وما لم يفعله الوصل فعله الحذف أو غيره، فالمهم أنه إذا غابت وسيلة ما يحدث بها الاتساق لا بدَّ من إيجاد غيرها، وعلى المتلقي فقط أن يبحث ويجتهد على اكتشافها والتنقيب عنها.

---

(1) السابق، ص.237.

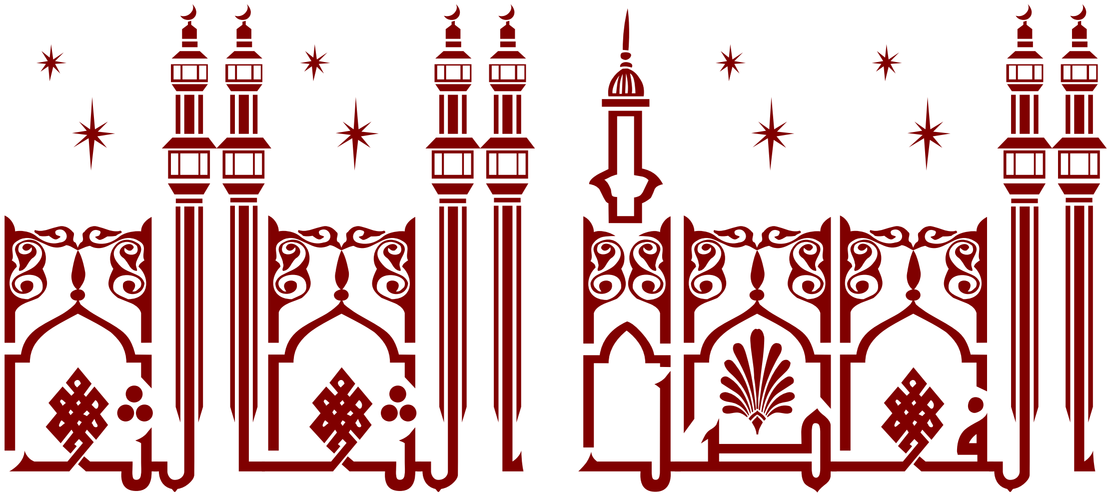

الفصل الثالث

"التحليل السياقي لسورة الكهف"

1- حول سورة الكهف

- تمهيد

- سبب النزول

2- بنية السورة من خلال بعض المفسرين

أ- بنية السورة من خلال الرازي

ب- بنية السورة من خلال الطاهر بن عاشور

ج- بنية السورة من خلال سيد قطب

3- حول بعض السياقات الواردة في السورة

4- البنية الخطابية في السورة

5- بنية السورة كجواب

6- التناسب بين القصص الواردة في السورة

يحاول هذا الفصل أن يستغل أو يستثمر بعض مستجدات التحليل اللساني للنصوص العامة، والتحليل التداولي خاصة. ويستفيد في تحليله من مفهوم النص كوحدة معنوية تتبلور تدريجيا عند القارئ بناءً على معطيات نصية داخلية ومعطيات خارج – نصية (المستوى التداولي).

وعلى هذا الأساس سينصب اهتمامنا على تحليل سورة الكهف:

- داخليا باعتبارها كُلاًّ يحقق الخاصيتين الأساسيتين وهما الاتساق والانسجام.

- خارجيا من خلال ربطها بالمعطيات اللانصية (الخارجية) باعتبارها جوابا على سؤال ذي شقين وُجِّه للنبي صلى الله عليه وسلم يتعلق بأهل الكهف وبذي القرنين.

1- حول سورة الكهف:

تمهيد:

- أخذت السورة اسمها من قصة أصحاب الكهف، فقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الكهف. روى مسلم وأبو داوود عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حفِظ عشر آيات من أول سورة الكهف»، وفي رواية لمسلم: «من آخر الكهف، عُصِم من فتنة الدجال». (1)

* الكهف في قصة الفتية كان فيه نجاتهم مع إن ظاهره كان يوحي بالرعب والظلمة لكنه لم يكن كذلك إنما كان العكس: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ الآية **16**.

فالكهف في السورة ما هو إلا تعبير عن العصمة من الفتن قد تكون أحيانا باللجوء إلى الله حتى لو بدا الأمر مخيفا، وهو رمز الدعوة إلى الله، فهو كهف الدعوة، وكهف التسليم لله، ولهذا سميت سورة (الكهف) وهي العصمة من الفتن.

---

(1) ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984، ج15، ص.241.

- هي سورة مكية في قول جميع المفسرين.

- نزلت بعد سورة الغاشية وقبل سورة الشورى.

- وهي الثامنة والستون في ترتيب الترول.

- نزلت جملة واحدة. روى الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قال: (نزلت سورة الكهف جملة معها سبعون ألفا من الملائكة).(1)

- هي إحدى خمس سور بدأت بجملة (الحمد لله) بالإضافة إلى الفاتحة والأنعام وسبأ وفاطر.

- يغلب عليها الطابع القصصي: تروي السورة أربع قصص من روائع القصص القرآني وهي قصة أهل الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى مع الخضر، وقصة ذي القرنين.

• سبب الترول:

جاء في تفسير التحرير والتنوير لصاحبه "الطاهر بن عاشور" أن المشركين لما أهمهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وازدياد عدد المسلمين معه، وكثر تساؤل القبائل العربية عن أمر دعوته، فبعثوا النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبرا اليهود بالمدينة يسألوهم رأيهم في دعوته، باعتبار معرفتهم علم الأنبياء (أي صفاهم، وعلاماهم)، فقال لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث؟ فإن أخبركم بهن فهو نبي وإن لم يفعل فالرجل متقوّل. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ وسلوه عن الرجل الطواف الذي طاف الأرض شرقا وغربا؟ وسألوه عن الروح ما هي؟

---

(1) نفسه، ص.242.

فجاء جمع من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن هذه الثلاثة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبركم بما سألتم عنه غدا (وهو ينتظر وقت نزول الوحي بحسب عادة يعلمها) ولم يقل إن شاء الله. فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ينتظر الوحي، وقال ابن إسحاق: خمسة عشر يوما فأرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدًا وقد أصبحنا اليوم عدة أيام لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، حتى أحزن ذلك رسول الله وشق عليه، ثم جاء جبريل عليه السلام بسورة الكهف.(1)

إن المتأمل لهذه الرواية يمكنه أن يستخلص ما يلي:

1- هناك باحث أوسائل (المشركون) عن أمر الدعوة، ليتأكدوا من حقيقتها.

2- مقترح الأسئلة (اليهود) مع سبق معرفتهم لما يسأل عنه.

3- اقتراح أسئلة دون غيرها يوحي بأن الموجه له السؤال يعجز عن الإجابة.

4- السؤال موجه للنبي صلى الله عليه وسلم.

5- هناك ثلاث أسئلة طرحت على النبي صلى الله عليه وسلم.

6- وعد النبي صلى الله عليه وسلم بالإجابة عنها.

7- تأخر الوحي (ثلاثة أيام أو خمسة عشر يوما).

8- المقام مقام اختبار.

يقدم الباحث "مفتاح بن عروس" ثلاث محاولات لبلورة هذه السورة، انطلاقا من أن صناعة الانسجام تُبنى على معطيات نصية ومعطيات لا نصية. فالمحاولة الأولى من هذه المحاولات "للرازي" في (التفسير الكبير)، والثانية "للطاهر بن عاشور" في (تفسير التحرير والتنوير)، أما الثالثة (في ظلال القرآن) "لسيد قطب".

---

(1) ينظر الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ص.**242-243**.

ولعل الجامع لهؤلاء المفسرين هو تقاطعهم في النظرة الكلية للنص (السورة). وسنعرض فيما يلي هذه البنيات عند كلٍّ منهم كما وردت مرتبة سلفا:(1)

أ- بنية السورة من خلال الرازي:(2)

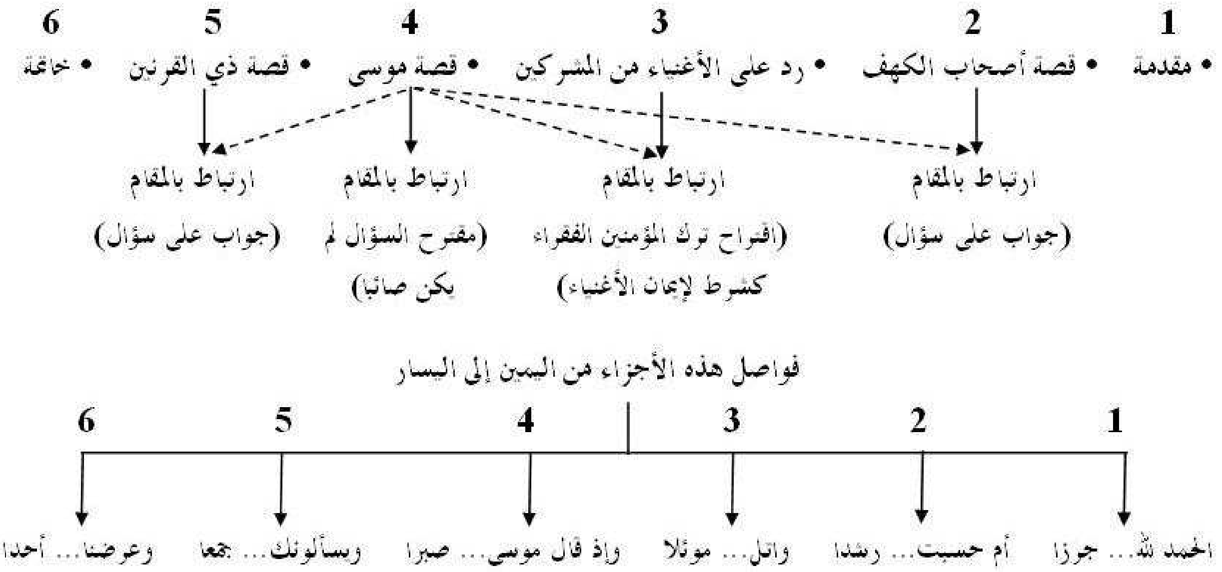

يشير الرازي في إشارة أولى حين يصل إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ ويعود في حصيلة أخرى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةَ اسْجُدُوا لآدَمَ...﴾ ليربط الجزء الثالث بالمقام يقول: اعلم أن هذه الآية إلى قصة موسى والخضر كلام واحد في قصة واحدة.

والإشارة الثالثة حين يصل إلى قصة موسى، ويربطها من جهة بالمقام باعتبار أن مقترحي السؤال كانوا مخطئين، ومن جهة أخرى يربطها بالسياق السابق (موقف المشركين من أغنياء المسلمين) وبالسياق اللاحق (قصة ذي القرنين).

(1) ينظر مفتاح بن عروس: في علاقة النص بالمقام (سورة الكهف نموذجا)، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر (ملتقى علم النص)، العدد 14-شعبان 1420هـ-ديسمبر 1999م، ص.300.

(2) ينظر مفتاح بن عروس: في علاقة النص بالمقام، ص.301-302.

ب- بنية السورة من خلال الطاهر بن عاشور:[1]

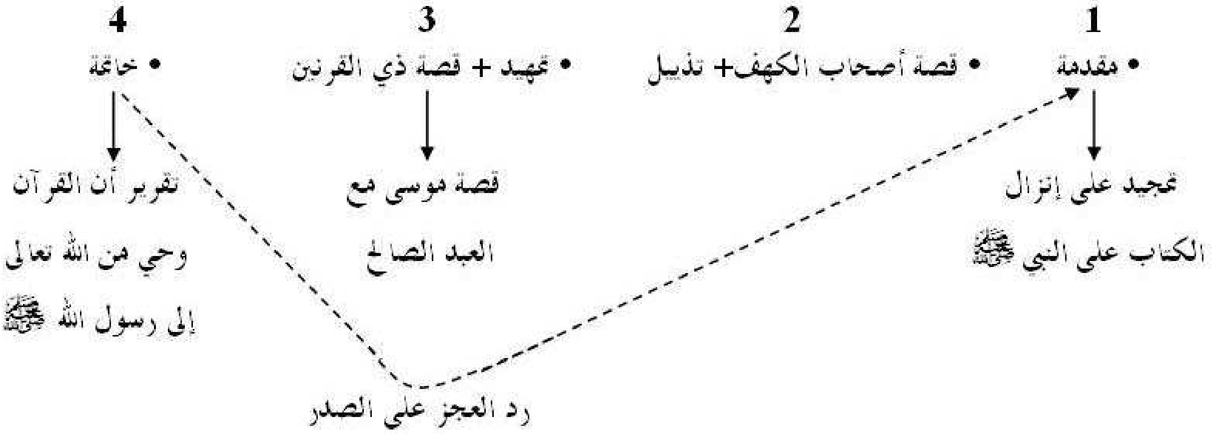

ج- بنية السورة من خلال سيد قطب (في ظلال القرآن):[2]

يركز سيد قطب في تفسيره للسورة على نقطتين هامتين:

1- المحور الموضوعي للسورة يرتبط بالأمور العقدية (تصحيح العقيدة، ومنهج النظر والفكر...)

2- غلبة العنصر القصص على هذه السورة

وبناء على النقطة الأولى نحصل على:

الكهف: تقسيم السياقات بحسب الموضوعات

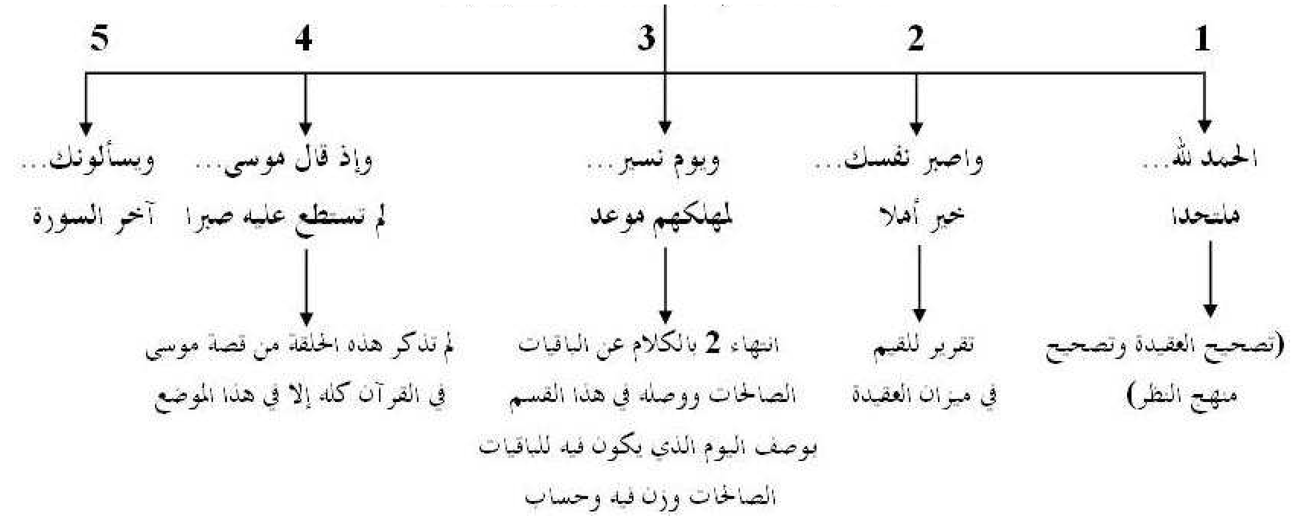

(1) المرجع السابق، ص.303.

(2) نفسه، ص.304-305.

وعلى ضوء النقطة الثانية نحصل على:[1]

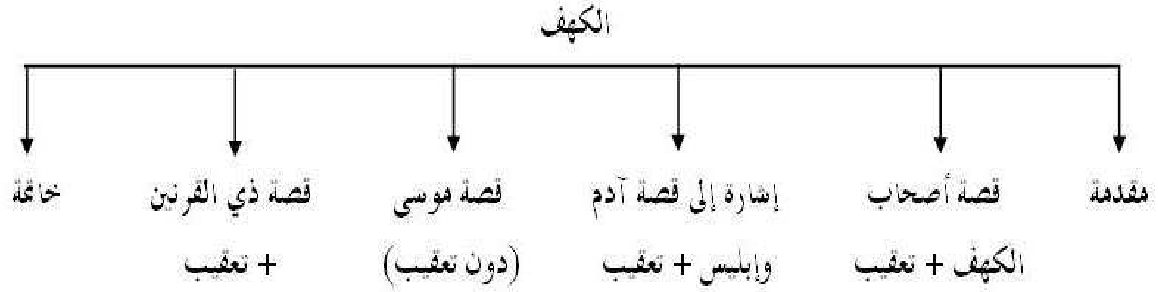

3- حول بعض السياقات الواردة في السورة:

يمكن أن نسلط الضوء على بعض السياقات التي لها علاقة بالسورة ككل باعتبارها جوابا على الأسئلة التي طرحت على النبي صلى الله عليه وسلم، وتتميز هذه السياقات بخاصية المرجعية. ويتناول الباحث "مفتاح بن عروس" هذه السياقات انطلاقا ممّا جاء في كتب بعض المفسرين.[2]

أ- السياق الأول:

قوله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾.

يظهر أن الزمخشري قد ربط هذا السياق بما هو سابق عليه بالصورة التالية: (ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يعني أن ذلك من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة).[3]

---

(1) السابق، ص.**306**.

(2) ينظر مفتاح بن عروس: في علاقة النص بالمقام، ص.**307**.

(3) محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، دار الكتاب العربي، ط**03**، **1407**هـ-**1987**م، بيروت-لبنان، ج**02**، ص.**243**.

- أما الرازي فنظرته مغايرة، يقول (اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان فقال تعالى: أم حسبت أنهم كانوا عجبا من آياتنا فقط، فلا تحسبن ذلك فإن آياتنا كلها عجب...).(1)

ويورد الألوسي محددا مرجعية الضمير في ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾: (... خطاب لسيد المخاطبين صلى الله عليه وسلم والمقصود غيره كما ذهب إليه غير واحد... وأريد من الخطاب غيره صلى الله عليه وسلم...).(2)

- ويدرج الطاهر بن عاشور في تفسيره له موضحا: (ليس أصحاب الكهف من أعجب آياتنا بلا هناك ما هو أعجب منها).(3)

ب- السياق الثاني:

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾.

- ينظر الطاهر بن عاشور(4) إلى هذا السياق من منظور خطي يراعي فيه توزيع الأحداث اللغوية، ويحاول قراءته بهذه الكيفية: نحن لا غيرنا نسرد عليك خبرا طويلا فيه أهمية وله شأن.

- ويضيف الألوسي أن التقيد (بالحق) إشارة إلى أن في عهده صلى الله عليه وسلم هناك من يقص نبأهم ولكن ليس بالحق.(5)

---

(1) محمد الرازي: التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 1401هـ-1981م، بيروت-لبنان، ج11، ص.83.

(2) محمود الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، 1403هـ-1983م، ج15، ص.208-209.

(3) الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص.259.

(4) نفسه، ج15، ص.271.

(5) الألوسي: روح المعاني، ج15، ص.16.

ج- السياق الثالث:[1]

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

- افتتحت الآية بـــ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ وهذا دليل على أن هذا الكلام مما جاءت السورة لتُجيب عنه.

- ورد التعبير بصيغة الاستقبال لاسترجاع الصورة الماضية.

يمكن تجسيد هذه الإحالات في السياق كما يلي:

ويسألونك عن ذي القرنين

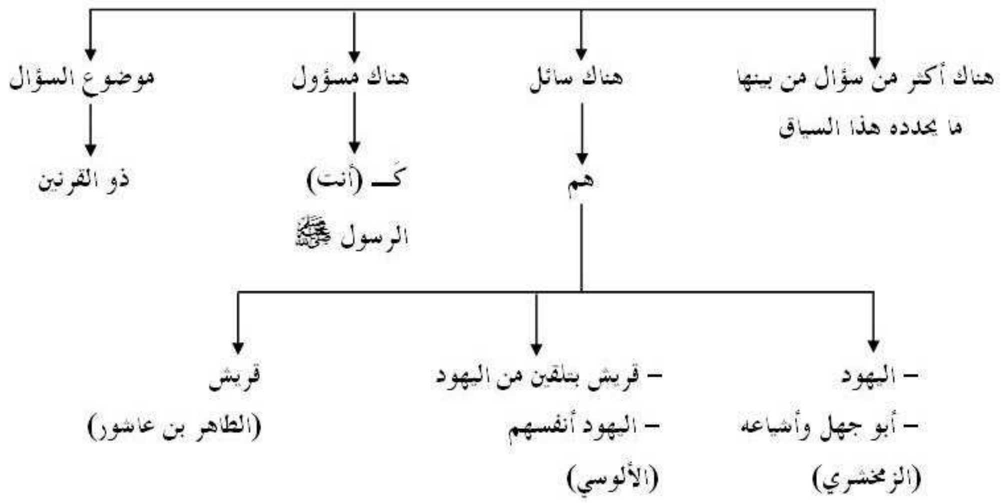

د- السياق الرابع:[2]

قوله عز وجل: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

- المسؤول فاقد الجواب

- لا تتجاوز وظيفة المسؤول التبليغ عن الذي صدر منه الفعل (قل).

- يتمثل السؤال في البحث عن تفاصيل القصة والجواب عنه (ذكر) أي ما به التذكر كما يقول الطاهر بن عاشور.

---

(1) ينظر مفتاح بن عروس: في علاقة النص بالمقام، ص.312-313.

(2) ينظر مفتاح بن عروس: في علاقة النص بالمقام، ص.314.

4- البنية الخطابية في السورة:

إن المتأمل في سورة الكهف يمكنه تحديد مجموعة من البنيات الخطابية الصغرى التي تشكل في النهاية بنية كبرى تخدم السورة باعتبارها جوابا، وهذه البنيات هي:[1]

- البنية الأولى: الحمدُ لله الذي أنزل على عبده الكتاب... إن يقولون إلا كذبا (الكلام منصب على المتكلم "الله").

السياق العام: قصة أصحاب الكهف

- البنية الثانية: فلعلك... {في تأسف النبي وتحسره على عدم إيمان قومه} ← وظيفة فعلية لا تبخع. ← (الكلام منصب على المخاطب).
- البنية الثالثة: أم حسبت... {قصة أصحاب الكهف باختصار}.
(المخاطب عام ويحدد فقط بصفته أي من حسب أن أصحاب الكهف أعجب آيات الله).
- البنية الرابعة: نحن نقص عليك... {قصة أصحاب الكهف تفصيلا} (تبليغ للرسول).
- البنية الخامسة: قل ربي أعلم بعدهم} ← وظيفة تبليغية.
- البنية السادسة: لا تقولن {مسألة ربط الغيب بالله} ← وظيفة فعلية.
- البنية السابعة: قل{مسألة مدة لبثهم} ← وظيفة تبليغية.

خطاب خاص للنبي ﷺ للامتثال

- البنية الثامنة: واتلُ {أمر بتلاوة القرآن}← وظيفة فعلية.
- البنية التاسعة: واصبر {أمر بصبر نفسه مع الذين يدعون}← وظيفة فعلية. ربهم بالغداة والعشي.
- البنية العاشرة: ولا تعد عيناك عنهم} ←وظيفة فعلية.

- البنية الحادية عشر: وقُل {تحديد مصدر الحق}← وظيفة تبليغية.
- البنية الثانية عشر: واضرب لهم {قصة الرجلين أو صاحب الجنتين}←وظيفة تبليغية.
- البنية الثالثة عشر: واضرب لهم {مثل الحياة الدنيا} ←وظيفة تبليغية.

(1) نفسه، ص.314-316.

- البنية الرابعة عشر: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا {قصة إبليس}← وظيفة تبليغية. على تقرير (أذكر).

- البنية الخامسة عشر: وإذ قال موسى... {قصة موسى مع العبد الصالح}←وظيفة تبليغية. الصالح على تقرير (أذكر).

- البنية السادسة عشر: قل {تلاوة ذكر من ذي القرنين←قصة ذي القرنين.}← وظيفة تبليغية.

- البنية السابعة عشر: قل {تحديد مفهوم الأخسرين}← وظيفة تبليغية.

- البنية الثامنة عشر: قل {عدم الإحاطة بعلم الله}← وظيفة تبليغية.

- البنية التاسعة عشر: قل {بشرية الرسول وارتباطها بالسماء عن طريق الوحي}← وظيفة تبليغية.

خطاب لتوصيل خطاب

ويمكن الخروج بجملة من الملاحظات تتعلق بالسورة كجواب:

1- مسألة الوحي، وتتحدد وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم في التبليغ. وتحسُن الإشارة إلى أن هذا التبليغ مرتبط بالأفعال التي تدعو إلى الامتثال أمرا ونهيا.(1)

2- افتتحت السورة بتقرير الحمد لله كان الوحي فيه هو العلة التي تسند هذا الافتتاح.

واختتم أيضا بمسألة الوحي، ولكن في هذه المرة بشكل مزدوج، فهي تجسد في الفعل ﴿قُلْ﴾ ثم في مقول القول: (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي): ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾(2)

---

(1) ينظر مفتاح بن عروس: في علاقة النص بالمقام، ص.**317**.

(2) م.ن. ص.**320**.

3- وتظهر مسألة الوحي أيضا في أن الذي وجهت إليه الأسئلة ما هو إلا مبلغ، وتبليغه مزدوج، يبلغ رسالات ربه بما يوصل الناس إليه وفي ذلك نجاتهم، ويبلغ أنه مبلغ لأن الأمر بالتبليغ والأمر بالامتثال يدخل في دائرة الخطاب.(1)

4- بنية السورة كجواب:

سنعرض في هذه النقطة إلى مدى علاقة السورة بالجواب عن الأسئلة المطروحة. بداية إذا نظرنا إلى سورة الكهف من منظور أنها جواب على أسئلة طرحت على النبي صلى الله عليه وسلم، نجدها في الوقت نفسه عدولا من جهة، ومطابقة مع الزيادة من جهة أخرى. غير أن الجواب في السورة لم يحقق الشكل التالي:

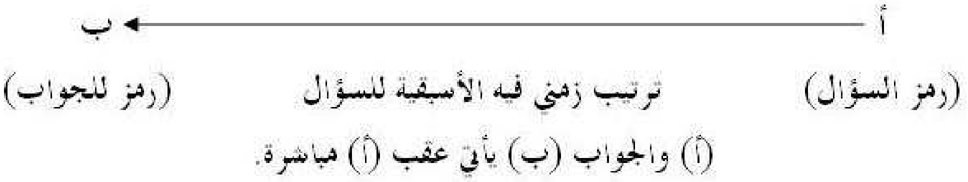

وإنما حدث تكسير لهذا الترتيب. فالسؤالان اللذان وُجِّها إلى النبي صلى الله عليه وسلم كانا يتعلقان بأهل الكهف وذي القرنين وطرحهما كان متزامنا. وكان من المفروض أن تكون الإجابة متزامنة.

ولو اعتبرنا أن السؤال عن أهل الكهف هو (أ') والسؤال عن ذي القرنين هو (أ") فإننا نتحصل وفقا للشكل السابق على:

أ' أ" ب' ب".(2)

السؤالان الجوابان

(1) ينظر مفتاح بن عروس: المرجع السابق، ص.320.

(2) نفسه، ص.323.

لكن ما نجده في سورة الكهف ليس تابعا للجوابين وإنما وردت فواصل بينهما. والتمثيل لهذا الجواب مع السؤال يكون بالمخطط التالي:

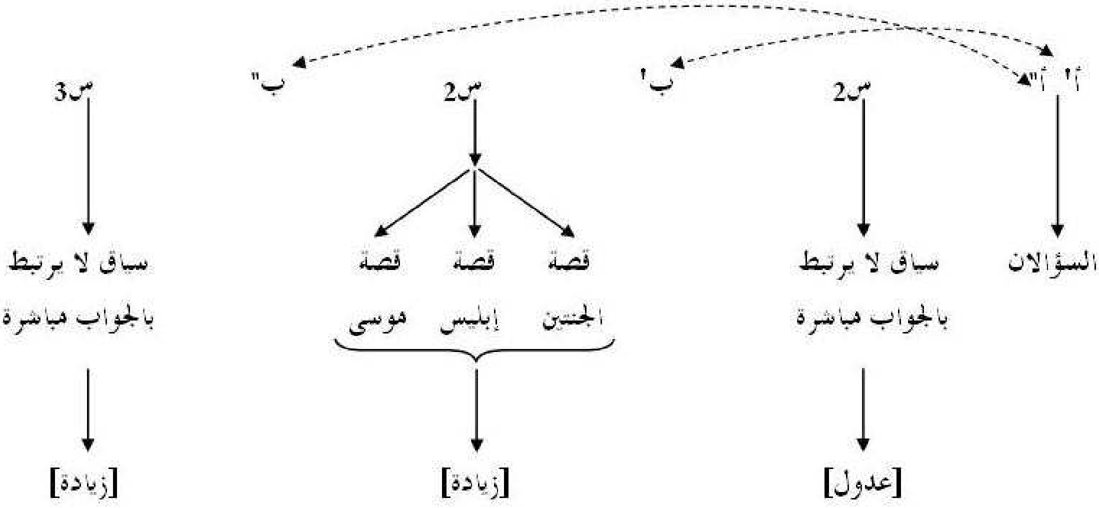

نخرج من هذا المخطط بجملة من الملاحظات:

1- تظهر الملاحظة الأولى في (ب') وهو رمز الجواب الأول، أنه قبل أن يعرض الجواب يقدم له بمسألتين تتعلق الأولى بأصحاب الكهف كآية ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾. وترتبط الثانية بالمجيب إذ يربط الجواب بالحق ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾.(1)

أما في الجواب الثاني (ب") فإنه وصف الجواب بالذكر: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، (الإجابة عن أمور توصله إلى التذكر).

2- أما الملاحظة الثانية فهي ما ورد بين الجوابين ب' وب": قصة الجنتين وبعض الإشارات إلى قصة إبليس وقصة موسى مع الخضر. فالذي طُرِح سؤالان عن قصتين، والجواب خمس قصص. وفي هذا تعريض بالذين طرحوا هذين السؤالين لأنهم كانوا يتصورون أن النبي صلى الله عليه وسلم يعجز عن الإجابة.(2)

---

(1) المرجع السابق، ص.**324**.

(2) نفسه، ص.**325**.

- والملاحظة الأخيرة هي أن الجوابين أغلقا من اليمين ومن اليسار بداية ونهاية ووسطا، وهو ما يوضحه الشكل التالي:(1)

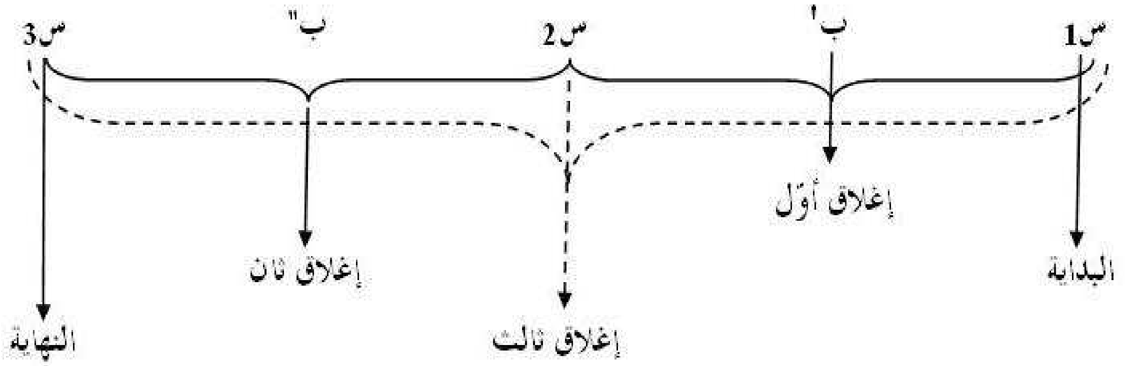

وفي هذا الإغلاق يتشاكل السياق الثاني (س2) مع الجوابين (ب' وب") من حيث أنه قصص (قصة الجنتين، قصة إبليس، قصة موسى)، ويتشاكل (س1) و(س3) من حيث ارتباطُهما بمسألة الوحي. ويكون هذا الإغلاق النهائي تأكيدا على أن المسألة كلها مسألة وحي من عند الله وما محمد صلى الله عليه وسلم إلا رسول مكلف بتبليغ رسالات ربه.

- يتمثل الإغلاق الأول في الجواب عن الشق الأول من السؤال الذي وجه للنبي صلى الله عليه وسلم (قصة أصحاب الكهف)، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالإغلاق الثاني فهو تمثيل للإجابة عن الشق الثاني من السؤال الذي طرح على النبي صلى الله عليه وسلم (قصة ذي القرنين).

أما الإغلاق الثالث فهو ما ورد بين الجوابين (ب' وب"): (قصة الجنتين، وبعض الإشارات إلى قصة إبليس، وقصة موسى مع الخضر). وهي زيادة، فالذي طُرِح سؤالان عن قصتين والجواب خمس قصص. وفي هذا تعريض بالذين طرحوا هذين السؤالين كانوا يتصورون أن النبي صلى الله عليه وسلم سيعجز عن الإجابة. وكأن الأمر قضي وأغلق بصفة نهائية بعد الرد على الأسئلة المطروحة.

(1) مفتاح بن عروس: في علاقة النص بالمقام، ص.325-326.

5- التناسب الوارد بين القصص في السورة:

القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة. ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس. وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين.

أما المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها، فهو تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة.

5-1- تصحيح العقيدة:

فيقرره بدؤها وختامها.(1)

في البدء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا*قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ؛ وَيُبَشِّرَ الْمُومِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا*مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا*وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا*مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ. كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. سورة الكهف **05/01**.

وفي الختام: ﴿قُلْ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ، فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الآية **110**.

وهكذا يتساوق البدء والختام في إعلان الوحدانية وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث.

ويلمس سياق السورة هذا الموضوع مرات كثيرة في صور مختلفة:

- ففي قصة أصحاب الكهف يقول الفتية الذين آمنوا بربهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا، لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ الآية **14**.

---

(1) ينظر سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الشرعية الحادية عشرة، 1405هـ-1985م، المجلد الرابع (ويضم الأجزاء 12-18). الجزء 15، ص.2256-2257.

وفي التعقيب عليها: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا، يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الآية **26**.

- وفي قصة الجنتين يقول الرجل المؤمن لصاحبه وهو يحاوره: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا*لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ **38/37**.

وفي التعقيب عليها: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا*هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقُبًا﴾ **44/43**.[1]

وفي مشهد من مشاهد القيامة: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ: نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ، فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ الآية **52**.

وفي التعقيب على مشهد آخر: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ؟ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ الآية **102**.

5-2- تصحيح منهج الفكر والنظر:[2]

فيتجلى في استنكار دعاوى المشركين الذين يقولون ما ليس لهم به علم، والذين لا يأتون على ما يقولون ببرهان، وفي توجيه الإنسان إلى أن يحكم بما يعلم ولا يتعداه، وما لا علم له به فليدع أمره إلى الله.

ففي مطلع السورة: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا*مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ **05/04**).

والفتية أصحاب الكهف يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً. لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ الآية **15**.

---

(1) المرجع السابق، ص.**2257**.

(2) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وعندما يتساءلون عن فترة لبثهم في الكهف يكلون علمها لله: ﴿قَالُوا: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ الآية **19**.

وفي ثنايا القصة إنكار على من يتحدثون عن عددهم رجما بالغيب: ﴿سَيَقُولُونَ: ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ؛ وَيَقُولُونَ: خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ - رَجْمًا بِالْغَيْبِ - وَيَقُولُونَ: سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ. قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ؛ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا، وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ الآية **22**.

وفي قصة موسى مع العبد الصالح عندما يكشف له عن سر تصرفاته التي أنكرها عليه موسى يقول: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ الآية **82**. فَيَكِل الأمر فيها لله.

5-3- تصحيح القيم بميزان العقيدة:(1)

فيرد في مواضع متفرقة، حيث يرد القيم الحقيقية إلى الإيمان والعمل الصالح، ويصغر ما عداها من القيم الأرضية الدنيوية التي تبهر الأنظار. فكل ما على الأرض من زينة إنما جعل للابتلاء والاختبار، ونهايته إلى فناء وانطفاء: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا*وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ **08/07**.

وحمى الله أوسع وأرحب، ولو أوى الإنسان إلى كهف خشن ضيق. والفتية المؤمنون أصحاب الكهف يقولون بعد اعتزالهم لقومهم: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ - إِلَّا اللَّهَ - فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ الآية **16**.

---

(1) السابق، ص.2258.

والخطاب موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليصبر نفسه مع أهل الإيمان؛ غير مبال بزينة الحياة الدنيا وأهلها الغافلين عن الله ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا؛ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا*وَقُلِ: الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ **29/28**.

وقصة الجنتين تصور كيف يعتز المؤمن بإيمانه في وجه المال والجاه والزينة. وكيف يجبه صاحبها المنتفخ بالحق، ويؤنبه على نسيان الله:[(1)] ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا*لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا*وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا*فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ، وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا*أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ **41/37**.

وعقب القصة يضرب مثلا للحياة الدنيا وسرعة زوالها بعد ازدهارها: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ، فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ الآية **45**.

ويعقب عليها ببيان للقيم الزائلة والقيم الباقية: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ الآية **46**.

وذو القرنين لا يذكر لأنه ملك، ولكن يذكر لأعماله الصالحة. وحين يعرض عليه القوم الذين وجدهم بين السدين أن يبني لهم سدا يحميهم من يأجوج ومأجوج في مقابل أن يعطوه مالا، فإنه يرد عليهم ما عرضوه من المال، لأن تمكين الله له خير من أموالهم ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ الآية **95**.

(1) المرجع السابق، ص.2258.

وحين يتم السد يرد الأمر لله لا لقوته البشرية: ﴿قَالَ: هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ الآية **98**.**(1)**

وفي نهاية السورة يقرر أن أخسر الخلق أعمالا، هم الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه؛ وهؤلاء لا وزن لهم ولا قيمة وإن حسبوا أنهم يحسنون صنعا: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا*الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا*أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ **105/104/103**.

وهكذا نجد محور السورة هو تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج الفكر والنظر، وتصحيح القيم بميزان العقيدة.

* ويسير سياق السورة حول هذه الموضوعات الرئيسة في أشواط متتابعة: تبدأ السورة بالحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب للإنذار والتبشير، تبشير للمؤمنين وإنذار الذين قالوا: اتخذ الله ولدا؛ وتقرير أن ما على الأرض من زينة إنما هو للابتلاء والاختبار، ونهاية هذه الزينة محتومة، فستعود الأرض مجردة منها، وسيهلك كل ما عليها، فتصبح يوم القيامة سطحا أجرد خشنا جدبا:**(2)**

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا*قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ، وَيُبَشِّرَ الْمُومِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا*مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا*وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا*مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ. كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ. إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا*فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا*إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا*وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ **08/01**.

---

(1) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(2) السابق، ص.2259.

ويتلو هذا قصة أصحاب الكهف، وهي نموذج لإيثار الإيمان على باطل الحياة وزخرفها، والالتجاء إلى رحمة الله في الكهف، هربا بالعقيدة أن تُمس.(1) وتشير الآيات إلى قصة نفر من صالحي الأمم السالفة ثبتوا على دين الحق في وقت شاع فيه الكفر والباطل فانزووا إلى الخلوة تجنبا لمخالطة أهل الكفر، فأوَوا إلى كهف استقروا فيه من الفتنة في دينهم، فأكرمهم الله تعالى بأن ألقى عليهم نوما بقوا فيه مدة طويلة ثم أيقظهم فأراهم انقراض الذين كانوا يخافونهم على دينهم. وعد أن أيقنوا بذلك أعاد نومتهم الخارقة للعادة فأبقاهم أحياء إلى أمد يعلمه الله أو أماتهم وحفظ أجسادهم من البِلى كرامة لهم.(2)

وهكذا تنتهي القصة تسبقها وتتخللها وتعقبها تلك التوجيهات التي من أجلها يساق القصص في القرآن. مع التناسق المطلق بين التوجيه الديني والعرض الفني في السياق.(3)

إن الطريقة التي اتبعت في عرض هذه القصة من الناحية الفنية هي طريقة التلخيص الإجمالي أولا، ثم العرض التفصيلي أخيرا، وهي تعرض في مشاهد وتترك بين المشاهد فجوات يعرف ما فيها من السياق.(4)

---

(1) ينظر المرجع السابق، ص.**2259**.

(2) ينظر محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، **1984**، الجزء **13**، ص.**261**.

(3) ينظر سيد قطب: المرجع السابق، ص.**2266**.

(4) نفسه، ص.**2261**.

وفي الأخير نرى بأن سورة الكهف هي من سور القرآن الكريم التي لا بد أن نتدبر معانيها بشيء من التفكير، فإذا عرفناها كشفت لنا عن أسرار كثيرة مما يريد الله أن يلفتنا إليها. فمثلا أخفى الله سبحانه وتعالى مكان وزمان وعدد أصحاب الكهف، ليلفتنا إلى أن هذه القصة يمكن أن تحدث في أي زمان، وفي أي مكان، لأي عدد من الفتية المؤمنين الذين يفرون بدينهم من طغيان الكفر، فهؤلاء تشملهم رحمة الله، فيعطيهم سعة الرزق، ويعطيهم سعة المكان، ويجعل الزمان يمر عليهم وهم لا يحسون بأي تعب أو معاناة؛ أو أي شيء آخر يقلقهم أو يضرهم، وهذا يحدث في كل زمان ومكان.(1)

* ويبدأ الشوط الثاني بتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وأن يغفل الغافلين عن ذكر الله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ... نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الآية 31.

ثم تجيء قصة الجنتين تصور اعتزاز القلب المؤمن بالله، واستصغاره لقيم الأرض وينتهي هذا الشوط بتقرير القيم الحقيقية الباقية: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ... الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ الآية 46.(2)

هذا الدرس كله تقرير للقيم في ميزان العقيدة. إن القيم الحقيقية ليست هي المال، وليس هي الجاه، وليست هي السلطان. كذلك ليست هي اللذائذ والمتاع في هذه الحياة، إن هذه كلها قيم زائلة.

---

(1) ينظر محمد متولي الشعراوي: القصص القرآني في سورة الكهف، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ص.21-22.

(2) ينظر سيد قطب: المرجع السابق، ص.2259.

والإسلام لا يحرم الطيب منها؛ ولكنه لا يجعل منها غاية لحياة الإنسان، فمن شاء أن يتمتع بها فليتمتع، ولكن ليذكر الله الذي أنعم بها، وليشكره على النعمة بالعمل الصالح، فالباقيات خير وأبقى.(1)

وهو يبدأ بتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصبر نفسه مع الذين يتجهون إلى الله؛ وأن يغفل ويهمل الذين يغفلون عن ذكر الله. ثم يضرب للفريقين مثلا رجلين: أحدهما يعتز بما أوتي من مال وعزة ومتاع. والآخر يعتز بالإيمان الخالص، ويرجو عند ربه ما هو خير. ثم يعقب بمثل يضرب للحياة الدنيا كلها، فإذا هي قصيرة زائلة كالهشيم تذروه الرياح. وينتهي من كل ذلك بتقرير الحقيقة الباقية: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ الآية **46**.(2) وهكذا يتناسق التوجيه الإلهي للرسول صلى الله عليه وسلم في أن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم في الغداة والعشي يريدون وجهه، مع إيحاء قصة الجنتين، مع ظل المثل المضروب للحياة الدنيا، مع هذا التقرير الأخير للقيم في الحياة وما بعد الحياة، وتشترك كلها في تصحيح القيم بميزان العقيدة، وتتساوى كلها في السورة وفق قاعدة التناسق الفني والتناسق الوجداني في القرآن.(3)

في هذه القصة يلفتنا الحق سبحانه وتعالى بأن أعطانا مثلين في الدنيا، مثل للإيمان، ومثل للكفر، المؤمن يقول الله يعطيني، وانتفاعي بالنعمة هو ما قدره الله لي، وهذا يدلنا على أن المؤمن ينظر إلى حقائق العطاء، ولا ينظر إلى ذات العطاء، لأنه قد يكون في المنع عطاء، ويكون المنع أثمن من النعمة ذاتها، أنت تظن أنه لم يعطك لكنه في الحقيقة – بهذا المنع– قد أعطاك أفضل مما تحتاجه.(4)

---

(1) ينظر سيد قطب: في ظلال القرآن، ج15، ص.2267.

(2) نفسه، ص.2268.

(3) ينظر سيد قطب: المرجع السابق، ص.2272.

(4) ينظر محمد متولي الشعراوي: : المرجع السابق، ص.41.

* والشوط الثالث يتضمن عدة مشاهد متصلة من مشاهد القيامة تتوسطها إشارة قصة آدم وإبليس، وينتهي ببيان سنة الله في إهلاك الظالمين، ورحمة الله وإمهاله للمذنبين إلى أجل معلوم:[1] ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا 47... وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا 59﴾.

انتهى الدرس السابق بالحديث عن الباقيات الصالحات؛ فهنا يصله بوصف اليوم الذي يكون للباقيات الصالحات وزن فيه وحساب، يعرضه في مشهد من مشاهد القيامة. ويتبعه في السياق بإشارة إلى ما كان من إبليس يوم أمر بالسجود لآدم ففسق عن أمر ربه للتعجيب من أبناء آدم الذين يتخذون الشياطين أولياء، وقد علموا أنهم لهم أعداء، وبذلك ينتهون إلى العذاب في يوم الحساب. ويعرج على الشركاء الذين لا يستجيبون لعبادهم في ذلك اليوم الموعود.[2]

هذا وقد صرف الله في القرآن الأمثال للناس ليقوا أنفسهم شر ذلك اليوم،ولكنهم لم يؤمنوا، وطلبوا أن يحل بهم العذاب أو أن يأتيهم الهلاك الذي نزل بالأمم قبلهم. وجادلوا بالباطل ليغلبوا به الحق، واستهزأوا بآيات الله ورسله. ولولا رحمة الله لعجل لهم العذاب.

هذا الشوط من مشاهد القيامة، ومن مصارع المكذبين يرتبط بمحور السورة الأصيل في تصحيح العقيدة، وبيان ما ينتظر المكذبين، لعلهم يهتدون.[3]

---

(1) ينظر سيد قطب: المرجع السابق، ص.**2259**.

(2) نفسه، ص.**2273**.

(3) ينظر سيد قطب: المرجع السابق، ص.**2273**.

* وتشغل قصة موسى مع العبد الصالح الشوط الرابع:(1)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا **60**... وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا **82**﴾.

قصة موسى والخضر قصة العجائب الغيبية التي يقف أمامها العقل البشري خاشعا مسلما، فهي قصة رسول موحى إليه ومعه منهج حياة ممثلا في التوراة، فيه افعل ولا تفعل، وقصة عبد صالح آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما، ولكل خصوصيته.(2) إن قول موسى للعبد الصالح مثلا: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ الآية **66**، يلفتنا الحق سبحانه وتعالى إلى أنه مهما رفعت درجة الإنسان فإنه يجب ألا يتكبر، بل لابد أن نتواضع جميعا؛ فالكبرياء لله وحده، ويجب ألا يغتر إنسان بعلمه، أو بما آتاه الله من فضله فيتكبر في الأرض.(3)

إذن الغاية من القصة الرضا بالقضاء والقدر، والتسليم لأمر الله تعالى، وأن كل ما يحدث في الكون هو بقدر الله وله سبحانه في ذلك حكمة، فإن عرفتها حمدت الله تعالى وشكرته على ذلك، وإن جهلتها حمدت الله، فسبحانه المحمود على كل حال، وأمر الله كله خير.(4)

---

(1) نفسه، ص.2259.

(2) ينظر محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد الرابع، ص.2126.

(3) نفسه، ص.2130.

(4) نفسه، ص.2140.

* وهكذا ترتبط في سياق السورة - قصة موسى والعبد الصالح - بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله، الذي يدبر الأمر بحكمته، وفق علمه الشامل الذي يقصر عنه البشر الواقفون وراء الأستار، لا يكشف لهم عما وراءها من الأسرار إلا بمقدار.(1) أما الدرس الأخير في سورة الكهف فقوامه قصة ذي القرنين، ورحلاته الثلاث إلى الشرق وإلى الغرب، وإلى الوسط، وبناؤه للسد في وجه يأجوج ومأجوج. والسياق يحكي عن ذي القرنين قوله بعد بناء السد: ﴿قَالَ: هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكًّا وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ الآية **98**، ثم يعقب الوعد الحق، بالنفخ في الصور ومشهد من مشاهد القيامة، ثم تختم السورة بثلاثة مقاطع، يبدأ كل مقطع منها بقوله: ﴿قُلْ﴾. وهذه المقاطع تلخص موضوعات السورة الرئيسية واتجاهاتها العامة. وكأنما هي الإيقاعات الأخيرة القوية في اللحن المتناسق.(2) ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا **83** إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا **84**... قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا **110**﴾.

- إن قصة ذي القرنين تلفتنا إلى أنه من مهام الحاكم المُمَكَّن في الأرض أ يضرب على يد المسيء، ويثيب المحسن، وأنه إذا لم يفعل ذلك، يكون قد خان أمانة الحكم، وهو ما يؤدي إلى فساد المجتمع، وإلى معاناة الناس أشد المعاناة.(3)

---

(1) ينظر سيد قطب: المرجع السابق، ص.2282.

(2) ينظر سيد قطب: في ظلال القرآن، ج16، ص.2288.

(3) ينظر محمد متولي الشعراوي: القصص القرآني في سورة الكهف، ص.82.

* وهكذا تختم السورة - التي بدأت بذكر الوحي والتوحيد - بتلك الإيقاعات المتدرجة في العمق والشمول، حتى تصل إلى نهايتها فيكون هذا الإيقاع الشامل العميق الذي ترتكز عليه سائر الأنغام في لحن العقيدة الكبير.(1) وقصص سورة الكهف كلها تتحدث عن إحدى فتن الدنيا، ثم يأتي بعدها تعقيب بالعصمة من هذه الفتن. وسنحاول أن نشير إلى كل واحدة منها بشيء من الإيجاز:

أ- فتنة الدين:

قصة الفتية الذين هربوا بدينهم من الملك الظالم فآووا إلى الكهف حيث حدثت لهم معجزة إبقائهم فيه ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا وكانت القرية قد أصبحت كلها على التوحيد. ثم تأتي آيات تشير إلى كيفية العصمة من هذه الفتنة ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا*وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ **29/28**. فالعصمة من فتنة الدين تكون بالصحبة الصالحة وتذكر الآخرة.

ب- فتنة المال:

قصة صاحب الجنتين الذي آتاه الله كل شيء فكفر بأنعم الله وأنكر البعث فأهلك الله تعالى الجنتين.ثم تأتي العصمة من هذه الفتنة ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ، فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا*الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ **46/45**.

---

(1) ينظر سيد قطب: المرجع السابق، ص.**2297**.

والعصمة من فتنة المال تكون في فهم حقيقة الدنيا وتذكر الآخرة.

ج- فتنة العلم:

قصة "ذو القرنين" الذي كان ملكا عادلا يمتلك العلم وينتقل من مشرق الأرض إلى مغربها عين الناس ويدعو إلى الله وينشر الخير حتى وصل لقوم خائفين من هجوم يأجوج ومأجوج فأعانهم على بناء سد لمنعهم عنهم ومازال السد قائما إلى يومنا هذا. وتأتي العصمة ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا*الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ **104/103**. فالعصمة من فتنة السلطة هي الإخلاص لله في الأعمال وتذكر الآخرة. ويرد ذكر إبليس في منتصف السورة والتحذير من عاقبة اتخاذه وليا، فتنص الآية **50**: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾. وفي تلك دلالة على أن المحرك الرئيسي لتلك الفتن هو الشيطان الذي يزينها للناس.

* وكاستنتاج أخير يمكننا أن نهتدي إليه هو أن القصص الواردة في سورة الكهف يربطها محور واحد وهو أنها تجمع الفتن الأربعة في الحياة: فتنة الدين، وفتنة المال، وفتنة العلم، وفتنة السلطة. وهو ما يجسد انسجام هذه القصص مع الهيكل العام للسورة.

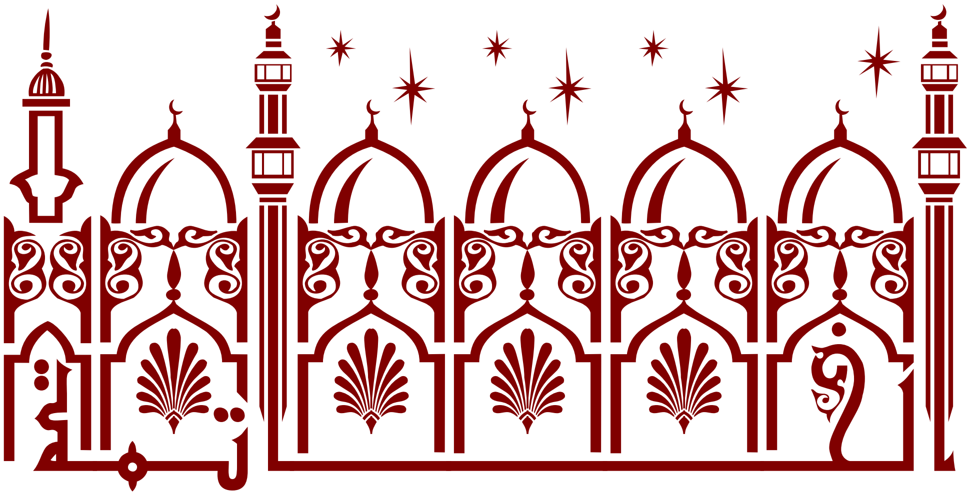
الخاتمة

خـــــاتمة

بعد هذا العرض التفصيلي لقضايا الاتساق والانسجام التي درسناها في هذه الأطروحة، يمكن أن نختم هذا البحث بعد مقارنة بسيطة بين الاتساق والانسجام:

يقابل مصطلح الاتساق المصطلح الأجنبي **(Cohésion)**، ويقابل مصطلح الانسجام المصطلح الأجنبي **(Cohérence)**. وهذا التحديد له مبرراته إذ إنه في كثير من الأحيان يقع التداخل بينهما، وعـــادة ما يُعبر عن الأول بالثاني. وللباحث "**جان ميشـــال آدم**" **(J.M. Adam)** لفتة هامة في هذا التداخل ففي مقال نشر له في مجلة **(Pratiques)** يشير إلى أنه كثيرا ما يستعمل مصطلح الانسجام **(Cohérence)** ويكون المقصود الاتساق **(Cohésion)**، وقبل أن يقدم نماذج لهذا التداخل والخلط، يحاول أن يحدد المصطلحين بناء على تفريق قام به "**سلاكتا**" **(Slakta)** بين مفهومي النص **(Texte)** والخطاب **(Discours)**[(1)].

والحقيقة أن أساس هذا التفريق بين النص والخطاب تفريق آخر بين ما يسميه "**سلاكتا**" مستوى الدالة **(Plan de la Signifiance)** وعليه فإنه لا يمكن اعتبار الاتساق مرادفا قريبا من الانسجام. يتحدد الاتساق لسانيا على مستوى الدالية والنص، بينما يمكن أن ينظر إلى الانسجام نظرة شاملة تضع في الحسبان مقاربة النص في بنيته الدلالية والشكلانية **(Formelle)**.[(2)]

وبهذا المعنى، فإن الاتساق هو مجموعة القواعد الشكلانية التي تربط العناصر اللغوية بتدرج تصاعدي من أصغر وحدة لغوية إلى أكبر وحدة.

---

(1) ينظر مفتاح بن عروس: حول الاتساق في نصوص المرحلة الثانوية (مقاربة لسانية)، مجلة اللغة والأدب (ملتقى علم النص)، العدد 12–شعبان 1418هـ–ديسمبر 1997م، جامعة الجزائر، ص.430.

(2) ينظر المرجع السابق: الصفحة نفسها.

- أما بالنسبة للتداخل بين المصطلحين، فيعطي نموذجين أحدهما **"فان ديك"** **(Van Dijk)** إذ إنه كلما استعمل مصطلح الانسجام **(Cohérence)** يكون متعلقا بالاتساق، وكتمثيل يستشهد بهذا المقطع «من غير المحتمل، كما اقترحناه أن الانسجام النصي يحدد فقط في هذا المستوى من العلاقات بين الجمل **(Inter-phrastiques)**... وبدون هذه البنية الكبرى والقواعد التي تحكمها، فإن انسجام النص يبقى سطحيا **(Superficielle)** وخطيا».**(1)**

أما النموذج الثاني فصاحب المقال نفسه في كتابه **"Littéraire Linguistique et Discours"** الذي نشره عام **1976** إذ يعزو دور الروابط **(Connecteurs)** إلى الانسجام **(Cohérence)** وهو انزلاق من مستوى تحليلي يمسُّ نظام القواعد اللسانية الشكلانية **(Formelles)** إلى مستوى آخر (يتعلق بظروف إنتاج الخطاب).

- إن هذا التداخل بين المصطلحين يعكس مدى العلاقة التي تربطهما ذلك أنه لا يمكن أن نتصور نصا منسجما دون أن يكون متسقا. وبهذا المعنى يكون الاتساق **(Cohésion)** شرطا ضروريا للانسجام **(Cohérence)**.**(2)**

* إن المعطيات النظرية السابقة حول آليتي الاتساق والانسجام تحتاج إلى مناقشة لسانية دقيقة نوجز أهم خطوطها العريضة فيما يلي:

- تستند بعض مظاهر الاتساق (كالحذف، والتكرار، والإحالة) إلى أرضية دلالية محكمة تؤسس لبعد الانسجام بالدرجة الأولى.

- تؤسس مظاهر الاتساق النصي لما يُعرف بـ "التماسك النصي" على مستوى النظام أو النسق.

---

(1) نفسه: ص.**431**.

(2) ينظر مفتاح بن عروس: حول الاتساق في نصوص المرحلة الثانوية (مقاربة لسانية)، ص.**431**.

- تؤسس مظاهر الانسجام لما يعرف بـــ "التماسك النصي" على مستوى السياق الذي يؤسس بدوره لمرجعية تأويلية تحدد في الجواب عن التساؤل ما القصد؟ وهي إحالة دلالية عميقة تشكل ما يعرف بالبنية العميقة للنص.

- في ضوء هذا الطرح تتبين الفوارق المنهجية بين مصطلحي النسق والسياق؛ فالأول يتجه نحو التحديدات النحوية راسما وصفا بنيويا نمطيا يؤسس لمصطلح البنية السطحية. ويذهب الثاني (السياق) نحو القراءة التأويلية التي تحيا بالعوامل اللانصية (الخارجية) قصد تقييد المقام الذي أُنْتِجَ فيه النص، ومختلف إحالاته التي تفصح عن المجال الفكري للنص، أو الانتماء، راسما بذلك وصفا بنيويا عميقا يخلق بدوره تداعيا لمصطلح البنية العميقة.

ونريد أن نذكر في ختام هذه الدراسة أن نص مدونتنا - التي اخترناها للدراسة - يختلف عن باقي النصوص الأخرى، ذلك لأنه نص من القرآن الكريم. والقرآن كما نعلم جميعا نزل بلسان عربي مبين ونزل معجزا في جوانبه كلها. ومن هذه الجوانب إعجازه اللغوي الذي حير عقول العرب في أمره.

وهو لشدة تماسكه عد كالكلمة الواحدة على الرغم من أن كل سورة من سوره ذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين ومع ذلك فإنها تجتمع على الموضوع والغاية.

وحين ننظر إلى سورة الكهف نلاحظ فيها آيات متجاورة، وقد اختلفت مناسبات النزول في كل منها، ومع ذلك فهي متماسكة. ولكن هذا التماسك راجع إلى وحدة الموضوع الذي تعالجه السورة، فالعديد من السور المكية تتحدث عن قصص مختلفة من قصص الأنبياء، وقد يظن أحد أن هذه القصص غير متماسكة فيما بينها، لكنه يجد في النهاية أنه يجمعها إطار عام، هو أن هذه القصص عبرة وتسلية لرسول الله

صلى الله عليه وسلم، وأيضا لتخدم موضوع السورة الرئيسي وهذا هو الجامع العام لهذه القصص، وهو لاشك رابط دلالي.

يتضح مما سبق أن الاتساق ذو طبيعة خطية شكلية، وأن الانسجام ذو طبيعة دلالية، وأن الطبيعتين تتضافران معا لتحقيق التماسك الكلي للنص المعجز.

﴿ أ ﴾

1- الإبدال من الصفر	Substitution by Zero
2- الاتساق (أو السبك، أو الربط النحوي، أو التماسك النصي)	Cohesion
3- الإحالة (أو المرجعية)	Reference
4- الإحالة البعدية	Cataphora
5- الإحالة الخارجية	Exophora
6- الإحالة الداخلية	Endophora
7- الإحالة القبلية	Anaphora
8- الإخبارية (أو الإعلامية)	Informativity
9- أساس النص	Base of the Text
10- الاستبدال	Substitution
11- استبدال اسمي	Nominal Substitution
12- استبدال فعلي	Verbal Substitution
13- استبدال قولي	Clausal Substitution

﴿ ب ﴾

14- البنية الصغرى	Micro Structure
15- البنية الكبرى	Macro Structure
16- بنية النص	Structure of the Text

﴿ ت ﴾

17- تحليل الخطاب	Discourse Analysis
18- تحليل النص	Text Analysis
19- التداولية	Progmatics
20- الترابط	Connectivity
21- التضام (أو المصاحبات اللغوية)	Collocation
22- التفاعل	Interaction
23- التكرار	Recurrence / Repeated
24- التكرار الدلالي	Semantic Recurrence
25- التماسك المعجمي	Lexical Cohesion
26- التناص	Intertextuality
27- التواصل	Communication

﴿ ح ﴾

28- الحذف	Ellipsis
29- الحذف الاسمي	Nominal Ellipsis
30- الحذف داخل ما يشبه الجملة	Clausal Ellipsis
31- الحذف الفعلي	Verbal Ellipsis

﴿ خ ﴾

32- الخطاب	Discourse

﴿ ر ﴾

33- الربط — Junction

﴿ س ﴾

34- السياق — Context

35- السياق الثقافي — Context of Culture

36- سياق الحال (أو الموقف) — Context of Situation

37- السياق العاطفي — Emotional Context

38- السياق اللغوي — Linguistic Context

39- السياق النصي — Textual Context

﴿ ع ﴾

40- العطف — Conjunction

41- علاقات التماسك — The Relationship of Cohesion

42- علم اللغة النصي — Textual Linguistic

﴿ ق ﴾

43- القبول (أو المقبولية) — Acceptibility

44- القصد (أو القصدية) — Intentionality

﴿ل﴾

45- لسانيات النص	Text Linguistics
46- اللسانيات النصية	Textual Linguistics

﴿م﴾

47- المرجعية الخارجية	Exophora / Situational
48- المرجعية الداخلية	Endophoric Reference / Textual
49- المرجعية القبلية	Anaphoric Reference
50- المرجعية اللاحقة	Cataphoric
51- المقامية	Situationality

﴿ن﴾

52- نحو النص	Text Grammar
53- النص	Text
54- النص المغلق	Closed Text
55- النص المفتوح	Open Text

﴿و﴾

56- وحدة دلالية (أو معنوية)	A Semantic Unit
57- الوصف النصي	Textual Description
58- الوظيفة الاتصالية	Communication Function

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر والمراجع العربية

• أحمد عفيفي:

1- نحو النص؛ اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط01، 2001.

• أحمد محمد قدور:

2- مبادئ اللسانيات، دار الفكر بدمشق، 1996.

• أحمد مختار عمر:

3- علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، الطبعة الخامسة، 1998.

• الألوسي (محمود):

4- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، ج15، 1403هـ - 1983م.

• حسام أحمد فرج:

5- نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري)، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007م.

• خلود العموش:

6- الخطاب القرآني (دراسة في العلاقة بين النص والسياق)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 1429هـ - 2008م.

• الرازي (محمد):

7- التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط01، ج11، 1401 هـ - 1981م.

• **الزمخشري:**

8- البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج3، ط03، 1400هـ - 1980م.

• **الزركشي (بدر الدين):**

9- الكشاف عن حقائق غوامض التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ج02، ط03، 1407هـ - 1987م.

• **سعيد حسن بحيري:**

10- علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط01، 1997.

• **سيد قطب:**

11- في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الشرعية الحادية عشرة، المجلد الرابع، الجزء 15، 1405 هـ - 1985م.

• **الشعراوي (محمد متولي):**

12- القصص القرآني في سورة الكهف، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة.

13- قصص الأنبياء، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، المجلد الرابع.

• **شحدة فارع، جهاد حمدان، موسى عمايرة، محمد العناني:**

14- مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط03، 2006.

• **صبحي إبراهيم الفقي:**

15- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة -مصر، ط01، ج01 + ج02، 2000.

• **صلاح فضل:**

16- بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، 1996.

• **فرحان بدري العربي:**

17- الأسلوبية في النقد الحديث (دراسة تحليل الخطاب)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط01 1424هـ - 2003م.

• **طاهر سليمان حمودة:**

18- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999.

• **محمد حماسة عبد اللطيف:**

19- بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.

• **محمد خطابي:**

20- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط02، 2006.

• **محمد الشاوش:**

21- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، جامعة منوبة، كلية الآداب، ج01، تونس 2001.

• **محمد الطاهر بن عاشور:**

22- تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج15، 1984.

• **مصطفى شعبان عبد الحميد:**

23- المناسبة في القرآن؛ دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، ط01، الإسكندرية، 2007.

المراجع المترجمة

- **براون ويول:**

24- تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطي ود. منير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1418هـ - 1997م.

- **برند شبلنر:**

25- علم اللغة والدراسات الأدبية (دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي)، ترجمة محمود جاد الرب، الرياض، الدار الفنية للنشر والتوزيع، 1991.

- **جوليا كريستيفا:**

26- علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط02، 1997.

المعجمات العربية

- **الراغب الأصفهاني:**

27- المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط01، 1418هـ - 1998م.

- **عبد الصبور مرزوق:**

28- موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، الإصدار الأول، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1421هـ - 2000م.

- **ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم):**

29- لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، ط03، ج07، 1994.

الرسائل والمجلات العلمية

• **حنان مباركي:**

30- انسجام النص الكلامي عند الجاحظ (دراسة في رسائل الجاحظ الكلامية)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات، جامعة قالمة، 2007، 2008.

• **محمد الأخضر الصبيحي:**

31- المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي (شعبة العلوم الإنسانية)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في اللسانيات، جامعة قسنطينة: 2004 - 2005.

• **يحي بعيطيش:**

32- نحو نظرية وظيفية في النحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة قسنطينة.

• **مفتاح بن عروس:**

33- في علاقة النص بالمقام (سورة الكهف أنموذجا)، مجلة اللغة والأدب (ملتقى علم النص)، جامعة الجزائر، العدد 14 شعبان 1420هـ - ديسمبر 1999م.

34- حول الاتساق في نصوص المرحلة الثانوية (مقاربة لسانية)، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 12 شعبان 1418هـ - ديسمبر 1997م.

المراجع الأجنبية

• Holliday and Ruqaia Hasan :

35- Cohesion in English, Longman, London, 1976.

• Robert de Beaugrande and Wolfgang Dressler:

36- Introduction to text linguistics, Longman, London, 1981.

الفهارس

صفحة العنوان	01
دعاء	03
إهداء	05
شكر وعرفان	06
مقدمة	08
مدخل عام	13
مسيرة اللسانيات الحديثة	13
تمهيد	14
مرحلة الدالية (أو الداليات)	15
مرحلة الدلالية (أو الدلاليات)	16
مرحلة التداولية (أو التداوليات)	16
مرحلة النصية (أو النصيات)	17
الفصل الأول	20
الإطار النظري للدراسة	20
مظاهر الاتساق والسياق في الدراسات النصية الحديثة	20
مفاهيم أولية	23
النص	23
النص والخطاب	28
النص والسورة	31
نحو النص	34
المفاهيم الأساسية للاتساق المستثمرة في الدراسة	37

الاتساق 37

مظاهر الاتساق 39

الإحالة 40

التوابع 45

التكرار 51

الحذف 53

مفاهيم السياق في الدراسات الحديثة 56

مفهوم السياق 56

أنواع السياق 58

المناسبة في الدراسات القرآنية وعلاقتها بالدراسات الحديثة 59

الانسجام 62

مظاهر الانسجام 63

المقامية 63

القصدية 63

المقبولية 64

الإعلامية 64

التناص 64

الفصل الثاني 67

الإطار الإجرائي للدراسة 67

التحليل النصي لسورة الكهف 68

التحليل النصي لسورة الكهف من خلال الضمائر 69

التحليل النصي لسورة الكهف من خلال التوابع 75

التحليل النصي لسورة الكهف من خلال التكرار 89

التحليل النصي لسورة الكهف من خلال الحذف 95

الفصل الثالث 103

التحليل السياقي لسورة الكهف 103

حول سورة الكهف 105

تمهيد 105

سبب الترول 106

بنية السورة من خلال بعض المفسرين 108

بنية السورة من خلال الرازي 108

بنية السورة من خلال الطاهر بن عاشور 109

بنية السورة من خلال سيد قطب 109

حول بعض السياقات الواردة في السورة 110

البنية الخطابية في السورة 113

بنية السورة كجواب 115

التناسب الوارد بين القصص في السورة 118

خاتمة 132

ملحق بأهم المصطلحات النصية المفتاحية الواردة في البحث 138

قائمة المصادر والمراجع 143

فهرس الموضوعات 149